جامعة قطر

كليّة الشريعة والدراسات الإسلامية

مقصد الهداية في قصة موسى– عليه السلام– في ضوء القرآن الكريم دراسة تحليلية

إعداد

مهره سالم خويتم الراشدي

قُدّمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلّبات

كليّة الشريعة والدراسات الإسلامية

للحصول على درجة الماجستير في

التفسير وعلوم القرآن

يناير 2020م/1441هـ

©2020.مهره سالم خويتم الراشدي. جميع الحقوق محفوظة.

لجنة المناقشة

استُعرضت الرسالة المقدّمة من الطالبة/ مهره سالم خويتم بخيت الراشدي ٢٠١٩/١١/٢١م، وَوُوفِق عليها كما هو آتٍ:

نحن أعضاء اللجنة المذكورة أدناه، وافقنا على قبول رسالة الطالبة المذكور اسمها أعلاه .وحسب معلومات اللجنة فإن هذه الرسالة تتوافق مع متطلبات جامعة قطر، ونحن نوافق على أن تكون جزءً من امتحان الطالب.

د.رمضان خميس الغريب

المشرف على الرسالة

أ د. محمد المجالي

مناقش

د. عدنان الحموي

مناقش

تمّت الموافقة:

الدكتور إبراهيم الأنصاري، عميد كلّيّة الشريعة والدراسات الإسلامية

الملخص

مهره سالم خويتم بخيت الراشدي، ماجستير في تفسير القرآن وعلومه:

يناير ٢٠20م.

العنوان: مقصد الهداية في قصة موسى- عليه السلام- في ضوء القرآن الكريم دراسة تحليلية

المشرف على الرسالة: د. رمضان خميس الغريب

تقوم فكرة البحث على دراسة موضوع مقصد الهداية في قصة موسى- عليه السلام- في ضوء القرآن الكريم، واشتمل على مقدمة، وخمسة فصول وخاتمة، والنتائج والتوصيات. تحدث في الفصل الأول: عن معجزات موسى- عليه السلام- وعلاقتها بمقصد الهداية، وأما الثاني: فكان حواراته ومناظراته -عليه السلام- وأثرها في مقصد الهداية والثالث: عن تكرار قصة موسى- عليه السلام- في القرآن الكريم وعلاقته بمقصد الهداية، والرابع: تحدث عن الوعي بالسنن الإلهية وأثره في مقصد الهداية، أما الفصل الخامس: فقد تحدث عن موانع الهداية في قصة موسى- عليه السلام- ثم الخاتمة وقد تضمنت نتائج وتوصيات.

ABSTRACT

an analytic study about Allah guidances' goals in the story of Moses peace be upon him in the light of the holy Quran.

Master's degree in Quran interpretations and Quran sciences:January, 2020.

Title:an analytic study about Allah guidances' goals in the story of Moses peace be upon him in the light of the holy Quran.

Supervisor of the dissertation: dr Ramadan Khamis Algharib

The idea of research is based on the study of the topic of the guidance goal in the story of Moses peace be upon him according to the Quran teaching.

The research comprises of an introduction,five chapters and a conclusion. It also contains the results and some recommendations.

The first chapter speaks about Moses' peace be upon him miracles and its relation with the guidance purpose.

The second chapter speaks about Moses' peace be upon him dialogues ,debatings and its effects on Allah's guidance aim.

The third chapter speaks about the repetition of Moses' peace be upon him story in the holy Quran and its relation with Allah guidance's purpose.

The fourth chapter speaks about the recognition of Allah's ways and its effects on Allah's guidance purpose.

The final chapter speaks about the guidance's hurdles in the story of Moses peace be upon him

I have ended by a conclusion which contains some deductions and recommendations.

شكر وتقدير

أشكر كل من ساعدني على إتمام رسالتي العلمية

كما أشكر الدكتور: إبراهيم الأنصاري عميد كلّيّة الشريعة والدراسات الإسلامية، كما أشكر العميد المساعد لشؤون البحث والدراسات العليا الأستاذ الدكتور: محمد المجالي على جهودهما في خدمة البحث العلمي.

وأشكر أمي وأبي أيضاً – حفظهما الله–على مساندتهما لي دائماً. ثم أستاذي الفاضل: د. رمضان خميس الغريب – حفظه الله– الذي كان محفزاً لي بكلماته المُلهمة، فقد كان صبوراً معي للغاية، صبوراً على أخطائي الكثيرة، وعلى تأخري في تسليم مسودات البحث. فخورة جداً بأستاذي – رضي الله عنه وأرضاه–.

وأشكر كذلك أفراد عائلتي على وقوفهم بجانبي. وأخص بالذكر أختي " أم جابر" على ما قدمته من أجلي حتى أستمر في دراستي. كما أشكر ابنة خالتي " أم أنس" على تحفيزها لي أثناء وجودها معنا في العطلة الصيفية، كانت تقف بجواري كل يوم تسألني وتتابع معي أين وصلت في كتابة البحث، كانت بالنسبة لي مصدراً للطاقة الإيجابية.

ولا أنسى أن أشكر أيضاً زميلاتي اللاتي كن خير عون لي، حين يصعب علي شيء من أمر دراستي. كما أشكر عموماً كل من ساعدني في إنجاز بحثي. أنا مُمتنة لكم جميعاً.

الإهداء

أهدي رسالتي العلمية هذه لذلك "الشخص" الذي رأى أمي ذات يوم تمشي على الطريق في حر الظهيرة، وهي متوجهة إلى مدرستي لتأخذني منها وكنت حينها في المرحلة الإعدادية، نظر إلى أمي وقال: "ما الفائدة من تعليمها، لا تتعبي نفسك" قالها: ولم يراع مشاعري ولا مشاعر أمي.

أهديك هذا الإنجاز بكل فخر لأنك تستحقه.

أهديك رسالتي لتكون مثالاً لكل من يقرأها، بأن لا يصغي إلى المثبطين، بل يواصل طريقه في تحقيق أحلامه وطموحاته. أهديك رسالتي، لتعلم أن حرص أمي على تعليمي لم يذهب سدى كما تظن.

فهرس المحتويات

شكر وتقدير ..... ج

الإهداء ..... ح

المقدمة 1

المدخل 10

أولاً: المقاصد العامة للقرآن الكريم وأهميتها بشكل عام 10

ثانياً: مقصد الهداية في قصة موسى- عليه السلام- وأهميتها بشكل خاص. 10

ثالثاً: شخصيات القصة والتعريف بها. 10

الفصل الأول معجزات موسى -عليه السلام- وعلاقتها بمقصد الهداية 20

المبحث الأول: معجزة العصا وعلاقتها بمقصد الهداية: 21

المطلب الأول: معجزة العصا دليل النبوة: 21

المطلب الثاني: علاقة معجزة العصا بمقصد الهداية: 23

المبحث الثاني: معجزة اليد وعلاقتها بمقصد الهداية: 27

المطلب الأول: معجزة يد موسى- عليه السلام- دليل النبوة: 27

المطلب الثاني: معجزة اليد وعلاقتها بمقصد الهداية: 29

المبحث الثالث: معجزات موسى – عليه السلام- الأخرى وعلاقتها بمقصد الهداية: . 30

المطلب الأول: الآيات الواردة في معجزات موسى- عليه السلام- الأخرى: 30

المطلب الثاني: معجزات موسى الأخرى وعلاقتها بمقصد الهداية:..... 32

الفصل الثاني: حوارات ومناظرات موسى –عليه السلام– وأثرها في مقصد الهداية 43

المبحث الأول: حوارات موسى– عليه السلام–وأثرها في مقصد الهداية: 44

المطلب الأول: حوار موسى– عليه السلام– مع ربه وأثره في مقصد الهداية: 44

المطلب الثاني: حوار موسى– عليه السلام– مع قومه وأثره في مقصد الهداية: 49

المطلب الثالث: حوار موسى– عليه السلام– مع السحرة وأثره في مقصد الهداية: 62

المبحث الثاني: مناظرات موسى– عليه السلام– مع فرعون وأثرها في مقصد الهداية:..... 66

المطلب الأول: موضوع المناظرة بين موسى–عليه السلام– وفرعون وأثرها في مقصد الهداية: 66

المطلب الثاني: أدلة المناظرة بين موسى– عليه السلام– وفرعون وأثرها في مقصد الهداية:..... 69

المطلب الثالث: نتائج المناظرة بين موسى– عليه السلام–وفرعون وأثرها في مقصد الهداية: 72

الفصل الثالث: التكرار في قصة موسى –عليه السلام – وعلاقته بمقصد الهداية . 74

التمهيد:..... 75

المبحث الأول: التكرار في مشهد موسى – عليه السلام – وفرعون: 78

المطلب الأول: آيات تكررت في القرآن تتحدث عن موسى – عليه السلام– وفرعون. . 78

المطلب الثاني: أثر تكرار مشهد موسى- عليه السلام مع فرعون في مقصد الهداية: .. 83

المبحث الثاني: التكرار في مشهد موسى – عليه السلام – مع السحرة وأثره في الهداية: 84

المطلب الأول: الآيات التي تكرر فيها مشهد موسى -عليه السلام- مع السحرة:..... 84

المطلب الثاني: أثر تكرار مشهد موسى- عليه السلام- مع السحرة في مقصد الهداية: 88

المبحث الثالث: التكرار في مشهد موسى – عليه السلام -مع قومه: 89

المطلب الأول: مشهد موسى- عليه السلام مع قومه:..... 89

المطلب الثاني: أثر تكرار مشهد موسى- عليه السلام مع قومه في مقصد الهداية:.... 91

الفصل الرابع: الوعي بالسنن الإلهية وأثره في مقصد الهداية 92

المبحث الأول: الوعي بسنة الاستضعاف وأثره في مقصد الهداية: 93

المطلب الأول: الوعي بسنة الاستضعاف:..... 93

المطلب الثاني: علاقة الوعي بسنة الاستضعاف وأثره في مقصد الهداية: 94

المبحث الثاني: الوعي بسنة الاستدراج وأثره في مقصد الهداية: 96

المطلب الأول: الآيات الواردة في سنة الاستدراج وأقوال المفسرين فيها:..... 96

المطلب الثاني: أثر الوعي بسنة الاستدراج في مقصد الهداية:.....103

المبحث الثالث: الوعي بسنة كفر النعمة وأثره في مقصد الهداية:..... 104

المطلب الأول: الوعي بسنة كفر النعمة: 104

المطلب الثاني: أثر الوعي بسنة كفر النعمة في مقصد الهداية: 105

المبحث الرابع: الوعي بسنة التدافع وأثره في مقصد الهداية: 107

المطلب الأول: الآيات الواردة في سنة التدافع وأقوال المفسرين فيها:.....107

المطلب الثاني: أثر الوعي بسنة التدافع في مقصد الهداية:.....109

المبحث الخامس: الوعي بسنة الفتنة والابتلاء وأثره في مقصد الهداية:..... 110

المطلب الأول: الآيات الواردة في سنة الفتنة والابتلاء وأقوال المفسرين فيها: 110

المطلب الثاني: أثر الوعي في سنة الفتنة والابتلاء بمقصد الهداية:.....115

المبحث السادس: الوعي بسنة اتباع الحق والإعراض عنه وأثره في مقصد الهداية:.....116

المطلب الأول: الآيات الواردة في سنة اتباع الحق والإعراض عنه وأقوال المفسرين فيها: 116

المطلب الثاني: أثر الوعي بسنة اتباع الحق والإعراض عنه بمقصد الهداية:.....121

المبحث السابع: الوعي بسنة النصر والتمكين وأثره في مقصد الهداية: 122

المطلب الأول: الآيات الواردة بسنة النصر والتمكين وأقوال المفسرين فيها:.....122

المطلب الثاني: أثر الوعي بسنة النصر والتمكين في مقصد الهداية: 125

الفصل الخامس: موانع الهداية في قصة موسى – عليه السلام–..... 128

المبحث الأول: موانع داخلية في النفس البشرية:..... 129

المطلب الأول: الكبر والغرور :.....129

المطلب الثاني: الخوف:.....131

المطلب الثالث: الزيغ.....132

المطلب الرابع: الجحود:.....134

المبحث الثاني: الموانع الخارجية في البيئة المجتمعية:..... 135

المطلب الأول: التقليد الأعمى:.....135

المطلب الثاني: القهر والتعذيب:.....137

الخاتمة.....139

قائمة المصادر والمراجع.....141

مراجع شبكة الانترنت:.....147

المقدمة

الحمدلله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه أجمعين، أما بعد..

فإن أغلب الكتب والرسائل العلمية فيها مقدمات، وهذا ليس بالشيء الجديد، ولكن مقدمتي مُختلفة نوعاً ما عن كل المقدمات والسبب في رأيي:

هو أني كتبت رسالتي العلمية وأنا في وضع صحي، وضغط نفسي كبير يحول بيني وبين إتمام كتابة هذه الرسالة! نعم فقد كنت أعاني وأنا اكتب وقد أخبرت المشرف بما أواجه من صعوبة ولولا الله والدعاء ثم تحفيز المشرف لي لانسحبت من الدراسة ولكن الله أراد لرسالتي هذه أن تتم بفضله لعل الله ينفع بها خلقاً كثيراً

هدفي من كتابة هذه المقدمة أن أوجه رسالة لكل من يقرأ رسالتي هذه أن يصمد في وجه الصعوبات التي تواجهه، ولا يتخلى عن أهدافه مهما تعرض لابتلاء وعقبات قد تحول بينه وبين تحقيق طموحاته.

أريد أن يقرأ القارئ هذه الرسالة وهو يستشعر ويدرك **أمرين:**

الأول: أن الله معك يعينك حين تظن بأنك لا تستطيع استمع لقوله:

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة: 5) كررها وتدبرها واستشعر معانيها بقلبك.

الثاني: حين تحقق إنجازك الذي طالما حلمت بتحقيقه، اشكر الله على توفيقه، ولا تنس أن نيتك من هذا الإنجاز هو رضى الله تعالى وليس رضاك عن نفسك ورضى الناس عنك. فقد ترحل من الدنيا يوماً ما، ويكون إنجازك هو نصيبك من الدنيا فقط، أما لو جعلت رضى الله منه غايتك فإنه يحلق بك، حتى في آخرتك أيضاً يكون عملاً صالحاً، يرفعك الله به مقاماً عنده.

لقد حرصت وأنا أكتبها على توثيق ما اقتبسته من الكتب ونسبة تلك الاقتباسات إلى أصحابها، ولكني بشر قد أسهو أو أخطئ في التوثيق، فإن حصل مني ذلك فإني لم أتعمد ذلك ولم أقصده.

وأريد أن أقول: بأني لم أجد فيما قرأت وعلمت بأن أحداً قبلي درس الموضوع بشكل خاص، وجدت بعض الكتب والرسائل العلمية التي تكلمت عن مقاصد قصص القرآن ومقاصد السور بشكل عام، وقد اعتمدت على بعضها في بحثي. حاولت بتوجيهات من أستاذي المشرف – مشكوراً– أن يكون الموضوع محدداً وواضحاً سهلاً لا تعقيد فيه ليستطيع أي قارئ أن يفهمه، فهو ليس موجهاً للباحثين فقط.

أردت أن تكون عباراتي سهلة يقرأها القارئ العادي وهو يشعر برغبة في مواصلة قراءة ما كتبت. غايتي أن أترك أثراً طيباً، ولو كان بسيطاً في كل من يقرأ رسالتي، وأسال الله أن يحقق غايتي

هذا ما استطعت إعداده فإن وجد في بحثي نقص فقد يأتي من بعدي باحث أو باحثة، يكملون بعدي ويتمون النقص إن وجد ولهم مني تحية واحتراماً مُسبقاً، كما أن الموضوع يستحق أن يُبحث فيه وفي موضوعات أخرى من قصة موسى– عليه السلام–فإن أصبت فمن الله وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان.

وبالله التوفيق.

اشتملت المقدمة على الآتي:

إشكالية البحث وأسئلته:

إشكالية البحث: نزل القرآن لمقاصد كثيرة أهمها مقصد الهداية، أي هداية البشرية لعبادة الله وحده لا شريك له، وهداية الناس لصلاح أمرهم في الدنيا والآخرة، ولأجل بيان هذا المقصد أردت دراسته دراسة تحليلية من خلال قصة موسى –عليه السلام –في القرآن الكريم.

أسئلته:

1. ما علاقة معجزات موسى– عليه السلام– بمقصد الهداية؟
2. ما مناظرات وحوارات موسى–عليه السلام– وما أثرها في مقصد الهداية؟
3. ما أثر التكرار في قصة موسى– عليه السلام– في مقصد الهداية؟
4. ما أثر الوعي بالسنن الإلهية في قصة موسى– عليه السلام– في مقصد الهداية؟
5. ما موانع الهداية في قصة موسى –عليه السلام–؟

أهداف البحث:

1. فهم مقصد الهداية في القرآن الكريم من خلال قصة موسى – عليه السلام–.
2. التعرف على آثار المعجزات في تحقيق مقصد الهداية في قصة موسى –عليه السلام–
3. التعرف على سبب تكرار القصة وأثره في الهداية.
4. التعرف على آثار الوعي بالسنن الإلهية في القصة وعلاقته بالهداية.

5. التعرف على موانع الهداية في قصة موسى-عليه السلام-.

أهمية البحث:

تتجلى أهمية البحث في الآتي:

1. يتحدث عن موضوع يهم كثير من الناس وهو هدايتهم.
2. يوضح أثر التكرار في القصة بمقصد الهداية.
3. يبين أثر الوعي بالسنن الإلهية في القصة.
4. يوضح موانع الهداية في القصة .

حدود البحث:

حدود البحث قصة موسى -عليه السلام-في القرآن الكريم كاملاً.

منهج البحث:

يقوم هذا البحث على المناهج الآتية:

1.المنهج الاستقرائي: استقراء الآيات المتعلقة بموضوع مقصد الهداية في قصة موسى -عليه السلام-.

2.المنهج التحليلي: تحليل الآيات المتعلقة بالموضوع ودراستها في ضوء القرآن الكريم.

٣. المنهج الموضوعي: من خلال دراسة موضوع مقصد الهداية في قصة موسى- عليه السلام- في ضوء القرآن الكريم.

الدراسات السابقة:

وجدت دراسات سابقة عن القصص القرآني وقصة موسى –عليه السلام –وهذه الكتب السابقة:

1. "**قصص القرآن الكريم**" عباس، فضل حسن، (عمان: دار النفائس، ط3، 1430هـ/2010م). تحدث الكتاب عن قصص القرآن الكريم بشكل عام.

أما هذا البحث فقد ركزت فيه على موضوع مقصد الهداية في قصة موسى– عليه السلام– في القرآن كاملاً.

2. "**المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة**" زيدان، عبدالكريم، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1،1319هـ/1998م). تحدث الكتاب عن الفوائد المستنبطة من قصص القرآن الكريم، المتعلقة بموضوع الدعوة والدعاة.

أما هذا البحث فقد تحدث عن مقصد الهداية في قصة موسى– عليه السلام– وأثره بشكل خاص في القرآن الكريم.

الرسائل العلمية:

1. **"الحوار القرآني في قصة موسى –عليه السلام –وأثر ذلك في الدعوة"** للباحث: تيسير محجوب، رسالة دكتوراه، باشراف: أ.د. أحمد عباس البدوي، (السودان: جامعة القرآن الكريم، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي قسم الدعوة،1418هـ/1998). درست هذه الرسالة: موضوع الحوار القرآني في قصة موسى –عليه السلام– وأثر ذلك في الدعوة بالتحديد.

أما هذا البحث فقد اشترك مع هذه الرسالة في موضوع الحوار في قصة موسى– عليه السلام– وزاد على ذلك مناظرات موسى– عليه السلام– وأثرها في مقصد الهداية، وزاد أيضاً، موضوعات أخرى: كـ معجزات موسى– عليه السلام– وعلاقتها بالهداية، والتكرار في قصة موسى– عليه السلام– وأثره في الهداية، والسنن الإلهية وعلاقتها بمقصد الهداية في قصة موسى– عليه السلام– وموانع الهداية في قصة موسى– عليه السلام– كما ركزت في هذا البحث على مقصد الهداية في كل فصوله ومباحثه.

2. **"أسلوب التكرار في القصة القرآنية قصة موسى – عليه السلام –نموذجاً"** للباحثة: حفيظة عبداوي، رسالة ماجستير باشراف: أ.د. محمد عباس، كلية الآداب، (تلمسان: جامعة أبي بكر بلقايد 1421هـ/2000م). ركزت هذه الرسالة على موضوع التكرار في قصة موسى– عليه السلام–.

أما هذا البحث فقد اشترك مع هذه الرسالة في موضوع التكرار وأضاف عليه أثر هذا التكرار في مقصد الهداية في قصة موسى– عليه السلام– وموضوعات أخرى سبق ذكرها أعلاه.

وغيرها من الرسائل العلمية. وعلى الرغم من توفر المصادر والمراجع إلا أني لم أجد دراسة علمية عن مقصد الهداية في قصة موسى–عليه السلام – بالتحديد، لذا سأبحث هذا الموضوع دراسة تحليلية في القرآن الكريم كاملاً.

أسباب اختيار الموضوع:

1. الموضوع جديد ويستحق البحث.
2. يمكن أن يستفيد منه غير المتخصصين في الدراسات القرآنية.
3. لأهمية الموضوع في حياة كل يرجو الهداية من الله.

خطة البحث:

يشتمل البحث على : مقدمة، وخمسة فصول، وخاتمة.

المقدمة تتضمن: أهمية البحث، وأهدافه، والمنهج، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، وخطة البحث.

المدخل ويشتمل على:

أولاً: المقاصد العامة للقرآن الكريم وأهميتها بشكل عام.

ثانياً: مقصد الهداية في قصة موسى– عليه السلام– وأهميتها بشكل خاص.

ثالثاً: شخصيات القصة والتعريف بها.

الفصل الأول: معجزات موسى –عليه السلام وعلاقتها بمقصد الهداية:

المبحث الأول: معجزة العصا وعلاقتها بمقصد الهداية.

المبحث الثاني: معجزة اليد وعلاقتها بمقصد الهداية.

المبحث الثالث: معجزات موسى- عليه السلام- الأخرى وعلاقتها بمقصد الهداية.

الفصل الثاني: حوارات ومناظرات موسى -عليه السلام- وأثرها في مقصد الهداية:

المبحث الأول: حوارات موسى -عليه السلام -وأثرها في مقصد الهداية.

المبحث الثاني: مناظرات موسى -عليه السلام – وأثرها في مقصد الهداية.

الفصل الثالث: التكرار في قصة موسى -عليه السلام – وعلاقته بمقصد الهداية:

التمهيد:

المبحث الأول: التكرار في مشهد موسى – عليه السلام – وفرعون.

المبحث الثاني: التكرار في مشهد موسى – عليه السلام – مع السحرة.

المبحث الثالث: التكرار في مشهد موسى – عليه السلام -مع قومه.

الفصل الرابع: الوعي بالسنن الإلهية وأثره في مقصد الهداية:

المبحث الأول: الوعي بسنة نصرة المستضعفين وأثره في مقصد الهداية.

المبحث الثاني: الوعي بسنة الاستدراج وأثره في مقصد الهداية.

المبحث الثالث: الوعي بسنة كفر النعمة وأثره في مقصد الهداية.

المبحث الرابع: الوعي بسنة التدافع وأثره في مقصد الهداية.

المبحث الخامس: الوعي بسنة الفتنة والابتلاء وأثره في مقصد الهداية.

المبحث السادس: الوعي بسنة اتباع الحق والإعراض عنه وأثره في مقصد الهداية.

المبحث السابع: الوعي بسنة النصر والتمكين وأثره في مقصد الهداية.

الفصل الخامس: موانع الهداية في قصة موسى – عليه السلام–:

المبحث الأول: موانع داخلية في النفس البشرية.

المبحث الثاني: موانع خارجية في البيئة المجتمعية.

الخاتمة:

النتائج والتوصيات:

المصادر والمراجع:

المدخل ويشتمل على:

أولاً: المقاصد العامة للقرآن الكريم وأهميتها بشكل عام.

ثانياً: مقصد الهداية في قصة موسى- عليه السلام- وأهميتها بشكل خاص.

ثالثاً: شخصيات القصة والتعريف بها.

المدخل:

يشتمل على الآتي: مقاصد الهداية في القرآن وأهميتها بشكل عام، ومقاصد خاصة تتعلق بسورة من سوره أو آية من آياته أو قصة من قصصه.

أولاً: مقاصد القرآن الكريم عند الطاهر بن عاشور- رحمه الله- (ت:1393هـ) ثمانية:

"المقصد الأول: إصلاح الاعتقاد.

المقصد الثاني: تهذيب الأخلاق.

المقصد الثالث: التشريع، الأحكام الخاصة والعامة.

المقصد الرابع: سياسة صلاح الأمة بحفظ نظامها كالإرشاد.

المقصد الخامس: القصص وأخبار الأمم السالفة للتأسي بصالح أحوالها.

المقصد السادس: التعليم بما يناسب حالة عصر المخاطبين وما يؤهلهم لتلقي الشريعة ونشرها.

المقصد السابع: المواعظ والإنذار والتحذير والتبشير.

المقصد الثامن: الإعجاز بالقرآن ليكون آية دالة علي صدق الرسول"[1].

---

[1] ابن عاشور: الطاهر، **التحرير والتنوير** (تونس: الدار التونسية للنشر، د.ط، 1984م)، ج1، ص40،41.

أهمية مقاصد القرآن الكريم بشكل عام:

- إن علم مقاصد السور راجعٌ إلى تحقيق المقصد كله من إنزال القرآن الكريم وهو الهداية والتدبر.
- أن مقصد السورة هو أصل معانيها التي ترجع إليه.
- أن يعين فهم كلام الله فهماً صحيحاً ومعرفة الحق في التفسير.
- هذا العلم يبعث على رسوخ الإيمان وزيادة نور القلب قرار العين بما يتضح من روائع هذا العلم العظيم ويحصل معه من اللذة والمتعة والسرور ما لا يحصل في غيره"[1].

ثانياً: مقصد الهداية في قصة موسى – عليه السلام– وأهميته بشكل خاص:

- **هداية البيان والدلالة**[2]: كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (سورة البقرة: 53).
- **هداية إرشاد:** كقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ (سورة القصص: 22) .

---

[1] الربيعة: محمد " **محاضرة: مقاصد سور القرآن – أنواع مقاصد القرآن– تعريف مقاصد القرآن– أهمية مقاصد القرآن**" برعاية مركز تفسير للدراسات القرآنية، جامع الراجحي– بريدة ،عام 1435هـ، 02/12/2015م، https://www.youtube.com/watch?v=5ASt1KGo-zg&app=desktop

[2] النشيمي: نبيل عبدالمجيد" **الهداية في القرآن من خلال سورة البقرة**" شبكة الألوكة الشرعية، 05/01/2012م، 10/02/1433هـ، http://www.alukah.net/sharia/0/37308/#ixzz5LpGuyVCY

- **الهداية العامة:** للمخلوقات عامة كما في قوله تعالى على لسان موسى- عليه السلام-: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ (سورة طه: 50).

ثالثاً: التعريف بشخصيات القصة المتعلقة بمقصد الهداية:

أهم شخصيات القصة هي:

أولاً: موسى – عليه السلام-:

- **نسبه:** هو "موسى بن عمران بن قاهث بن عازر بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق ابن إبراهيم عليهم السلام"[1]. بين الإمام ابن كثير -رحمه الله- بأن ما ذكره عن نسب موسى- عليه السلام- هو من الإسرائيليات التي ذكرها السلف وغيرهم[2].
- **نشأته -عليه السلام-:** نفذ فرعون رغبة امرأته، اتخذ قراره بتبني الوليد الصغير (موسى- عليه السلام-) والاحتفاظ به وإبقائه في القصر عند امرأته، ليكون قرة عين لهما [3].

فلما تبنى فرعون وامرأته الوليد موسى، صار في عرف الناس ابناً لفرعون، امرأة فرعون ليست مرضعاً، والوليد بحاجة إلى غذاء والمصدر الوحيد للحليب هو النساء وشرف عظيم لأي امرأة مرضع أن ترضع ابن فرعون.

---

[1] ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، **البداية والنهاية**، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، (الجيزة: دار هجر للطباعة والنشر، 1417هـ /1997م، ط1)،ج٢، ص،٣١.

[2] المرجع السابق.

[3] الخالدي: صلاح، **القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث**، (دمشق: دار القلم، ط1، 1419هـ/1998م)، ج2 ص،298. بتصرف

فما أن علمت النساء أن ابن فرعون بحاجة إلى رضاع حتى سارعت المرضعات منهن بتقديم حليبهن له وتطوعن لإرضاعه. ولكن موسى – عليه السلام– رفض المراضع جميعاً لأن الله أمره بذلك وقد ذكر الله ذلك في قوله تعالى: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ﴾ (سورة القصص: 12) عبرت الآية عن الامتناع بالتحريم [1].

وكانت أخت موسى تراقب أخاها وشاهدت امتناعه عن جميع المراضع، هنا تدخلت وعرضت عليهم خدماتها وأخبرتهم أنها مرضع سيقبل الرضيع ثديها. قبل فرعون بعرض الفتاة واستدعوا أم موسى، وهم لا يعرفون أنها أمه، وعين فرعون أم موسى مرضعاً له، وحملت الأم ابنها وذهبت به إلى بيتها [2].

هنا تتجلى حكمة الله في أقداره حين رفض الرضيع موسى– عليه السلام– كل المراضع رغم صغره وجوعه، حتى أرضعته أمه الحقيقية، والحكمة الإلهية توضح أن التدابير كلها بيده – سبحانه – فمن الذي جعل الصبي (موسى– عليه السلام–) يرفض رغم جوعه واحتياجه للحليب ورغم توفر المرضعات له، إنه الله ومن سخر أخت موسى– عليه السلام– وألهمها الكلمات التي تدل بها على أم موسى– من غير أن تكشف أمرها– إنه الله.

نبوته – عليه السلام–:

بعد أن قضى موسى الآجل سار بأهله عائداً إلى مِصر وبينما هو في الطريق كلفه ربه برسالته إلى فرعون وملئه يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له. وقد وصف الله هذا المشهد

---

(1) المرجع السابق:ج2، ص301.بتصرف

(2) المرجع السابق: ج2، 304– 305. بتصرف

العظيم في كتابه العزيز حيث قال: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (29) فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (30) وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَا مُوسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ (31) اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ ۖ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ (سورة القصص: 29 –31).

امتثل موسى – عليه السلام– أمر ربه وقام بدعوة فرعون وملئه إلى الله، ولكن فرعون أبى واستكبر وصد قومه عن اتباع الحق، وسخر من موسى وأخيه هارون– عليهما السلام– ودعوتهما قائلاً: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ﴾ (سورة طه: 49) وهدد موسى –عليه السلام– بالسجن إن اتخذ إلهاً غيره. فقال: ﴿قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ (سورة الشعراء: الآية 29) ولكن موسى – عليه السلام– تحدى فرعون بأن يأتي بالبينات والبراهين على صدقه وأنه – عليه السلام مُرسلٌ من ربه، وهو يقصد في قوله: ﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ﴾ (سورة الشعراء: 30) المعجزات التي أيده الله بها لإثبات صدق نبوته وتبليغ دعوته لفرعون وقومه.

- **مُعجزاته – عليه السلام–:**

أيد الله نبيه موسى– عليه السلام– بتسع معجزات ليثبت– عليه السلام– من خلاله صدقه ويتحدى بها فرعون وملأه، وهي: (العصا، واليد، والطوفان، والجراد، والقُمل، والضفادع، والدم، والسنون، ونقص الثمرات) ولكن فرعون وملأه جحدوا بها كما قال الله –عز وجل– فيهم: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ (سورة النمل: 14) ولكن سحرة فرعون وبقية من قومه آمنوا بموسى– عليه السلام– ودعوته حينما رأوا المعجزات الدالة على صدق دعوته.

- **وفاته – عليه السلام–:**

عن أبي هريرةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ قال: (أُرْسِلَ مَلَكُ الموتِ إلى موسى عليهما السلامُ، فلما جاءَهُ صكَّهُ، فرجع إلى ربهِ، فقال: أَرْسَلْتَنِي إلى عبدٍ لا يريدُ الموتَ، قال: ارجع إليهِ فقل لهُ يضعُ يدَهُ على متنِ ثورٍ فلهُ بما غطَّتْ يدُهُ بكلِّ شعرةٍ سَنَةٌ، قال: أي ربِّ، ثم ماذا؟ قال: ثم الموتُ، قال: فالآنَ، قال: فسأل اللهَ أن يُدنيهِ من الأرضِ المقدسةِ رميةً بحجرٍ). قال أبو هريرةَ: فقال رسولُ اللهِ عليه الصّلاة والسّلام: (لو كنتُ ثَمَّ لأريتكم قبرَهُ إلى جانبِ الطريقِ تحت الكثيبِ الأحمرِ). قال: وأخبرنا معمرٌ ، عن همامٍ : حدَّثنا أبو هريرةَ، عن النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: نحوَهُ)[1].

---

[1] أخرجه البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب أحاديث الأنبياء، باب وفاة موسى، وذكرهُ بعدُ (دمشق وبيروت: دار ابن كثير، ط1، 1423هـ/2002م)، ص843، رقم (3407).

ثانياً: هارون – عليه السلام–

- **منزلته – عليه السلام–:** إن النبي – صلى الله عليه وسلم– لما لقيه ليلة الإسراء والمعراج في السماء الخامسة قال: **(مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح)**[1].

- **أثره– عليه السلام – في الدعوة إلى الله:**

للنبي هارون – عليه السلام– أثر في الدعوة إلى الله بجانب أخيه موسى– عليه السلام– وقد أثبت الله تعالى ذلك في قوله–عز وجل–: ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ﴾ (سورة طه: 70).

وهذا يدل على جهده، كما يدل أيضاً على أثره، حين استجاب الله لدعاء موسى–عليه السلام– بأن يجعل أخاه هارون– عليه السلام– مُعيناً له في دعوته لفرعون وملئه حين قال: ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي ۖ إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾ (سورة القصص: 34) فكان الجواب من الله بقوله: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾ (سورة مريم: 53).

- **وفاته – عليه السلام–:** "الذي عليه الجمهور، أن هارون توفى بالتيه قبل أخيه موسى– عليهما السلام– بنحو من سنتين"[2].

---

[1] أخرجه البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الصلاة، باب كيف فُرضت الصلوات في الإسراء؟ (دمشق وبيروت، دار ابن كثير، ط1، 1423هـ/2002م)، ص، رقم (349).

[2] العسقلاني: ابن حجر، **البداية والنهاية**، تحقيق: عبدالله بن عبد المحسن التركي، (الجيزة: دار هجر، ط1، 1417هـ/1997م)، ج2، ص235.

ثالثاً: فرعون: نسبه: يعود نسبه إلى الأسر التي حكمت مِصر منذ 3100قبل الميلاد وكلمة فرعون تعني النبيل أو الشريف أو السامي. وفرعون علم على كل من حكم [1]. و**فرعون لغةً:** "من الفرعنة: التكبر والتجبر، وفرعون كل نبي ملك دهره"[2].

- **فرعون موسى:**

هو ملك مِصر الذي أرسل الله إليه موسى – عليه السلام– وكان فرعون طاغية زمانه يعذب بني إسرائيل يذبح أبناءهم، ويستحيي نساءهم، وادعى الألوهية والربوبية، وأمر قومه بعبادته من دون الله.

رابعاً: آسيا بنت مزاحم:

امرأة فرعون من بني إسرائيل – وقيل: كانت من غيرهم– وكانت مؤمنة تكتم إيمانها فلما قُتلت الماشطة رأت الملائكة تعرج بروحها كشف الله عن بصيرتها وقوي إيمانها، وازدادت يقيناً وتصديقاً لموسى، بينما هي كذلك دخل عليها فرعون قالت: له الويل لك ما أجرأك على الله؟! فقال: لها لعلك اعتراك الجنون الذي اعترى الماشطة. قالت: ما بي جنون ولكني آمنت بالله تعالى ربي وربك ورب العالمين [3].

خامساً: ومؤمن آل فرعون: كان يكتم إيمانه، قيل: هو النجار الذي صنع التابوت الذي جعل فيه موسى وألقي في النيل: فلما رأى موسى غلب السحرة أظهر إيمانه وقيل: أظهر إيمانه

---

(1) خضر: قاسم توفيق قاسم، **شخصية فرعون في القرآن**" رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، (نابلس: جامعة النجاح الوطنية، 1423هـ/2003م)، ص،9. بتصرف

(2) ابن منظور: **لسان العرب**، (بيروت: دار صادر، د.ط، د.ت)، مج13، ص،323.

(3) ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، تحقيق: أبو الفداء عبدالله القاضي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1407،1هـ/1987م) ، ج1، ص، 141. بتصرف

قبل ذلك وكان فرعون أراد قتل موسى ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ (سورة غافر:28) [1].

[1] المرجع السابق: ج١،ص،١٤١. بتصرف

الفصل الأول معجزات موسى -عليه السلام- وعلاقتها بمقصد الهداية

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: معجزة العصا وعلاقتها بمقصد الهداية.

المبحث الثاني: معجزة اليد وعلاقتها بمقصد الهداية.

المبحث الثالث: معجزات موسى- عليه السلام- الأخرى وعلاقتها بمقصد الهداية.

المبحث الأول: معجزة العصا وعلاقتها بمقصد الهداية:

يتضمن المبحث مطلبين، وهما:

المطلب الأول: معجزة العصا دليل النبوة:

عصا موسى– عليه السلام– كأي عصا عادية، ولكن الله أراد لتلك العصا أن تكون برهاناً، ودليلاً، حسياً، قاطعاً على صدق نبوة موسى – عليه السلام– وقد بين الله تعالى حال موسى– عليه السلام– في كتابه العزيز حينما أمره بإلقاء العصا التي في يده وانقلبت حية تسعى فقال: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ (17) قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ (18) قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَىٰ (19) فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ (20) قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ (21)﴾ (سورة طه: 17–21) وقال أيضاً: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾ (سورة النمل: 10).

فسر الإمام ابن كثير –رحمه الله– (ت: 774هـ) الآية بقوله: "هذا برهان من الله تعالى لموسى، عليه السلام، ومعجزة عظيمة، وخرق للعادة باهر، دال على أنه لا يقدر على مثل هذا إلا الله عز وجل، وأنه لا يأتي به إلا نبي مرسل" [1].

---

[1] ابن كثير: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: محمد حسين شمس الدين (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1419هـ/1998م)، ج5، ص246.

وقال الشيخ الطاهر بن عاشور– رحمه الله–: " أراد الله منها أن يري موسى كيفية الاستدلال على المرسل إليهم بالمعجزة العظيمة؛ وهي انقلاب العصا حية تأكل الحيات التي يظهرونها" [1].

أما الشيخ سيد قطب –رحمه الله– (ت: 1966م) قال:" إن الإنسان أسير حواسه، وأسير تجاربه، فلا يبعد كثيراً في تصوراته عما تدركه حواسه. وانقلاب العصا حية تسعى ظاهرة حسية تصدم حسه فينتبه لها بشدة" [2].

والعاقل من يهتدي إلى الحق عند تحقق المعجزة الإلهية، فيوقن ويصدق النبي، ويؤمن بما جاء به من عند الله تعالى، ويدرك بأن تلك المعجزة لا يأتي بها إلا نبي مُرسل من عند رب العالمين.

وأما الآية الثانية، فقد فسرها المفسرون على النحو الآتي:

فسرها الإمام الطبري (ت: 310هـ) – رحمه الله–: " يا موسى لا تخف من هذه الحية، إني لا يخاف لدي المرسلون. يقول: إني لا يخاف عندي رسلي وأنبيائي الذين أختصهم بالنبوة"[3].وفسرها محمد أبو زهرة –رحمه الله– (ت: 9741م) في تفسيره زهرة التفاسير بقوله:"

---

[1] ابن عاشور: محمد الطاهر، **التحرير والتنوير**، (تونس: الدار التونسية للنشر، د.ط، 1884م)، ج16، ص204.

[2] سيد قطب: **في ظلال القرآن** (القاهرة: دار الشروق، ط32، 1423هـ/2003م)، ج4، ص 2332.

[3] الطبري: **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، تحقيق: بشار عواد معروف وعصام فارس الحرستاني، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1415هـ/1994م)، ج5، ص549.

إني لا يمكن أن يخاف عندي المرسلون; لأني مانع كل شر عنهم، ثم فوق ذلك أنت مرسل من قبلي للدعوة إلى الهداية"[1].

والمعجزات: لها أثر في النفس سواء كان ذلك من الناظر إليها رسولاً كان أو مُرسلاً إليه، لذا من الطبيعي خوف موسى- عليه السلام- من انقلاب العصا حية بحكم طبيعته البشرية، وبحكم أن ما جرى فوق العادة. لذلك أخبر الله – جل وعلا- نبيه موسى – عليه السلام- بأنه رسوله إلى فرعون وملئه ليدعوهم إلى الهداية.

المطلب الثاني: علاقة معجزة العصا بمقصد الهداية:

قد يتبادر إلى الذهن سؤال وهو: ما علاقة معجزة العصا بمقصد الهداية في قصة موسى – عليه السلام-؟. **الجواب:** نجده: في قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (117) فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (118) فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانقَلَبُوا صَاغِرِينَ (119) وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ (120) قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (121) رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ (122)﴾ (سورة الأعراف: 117-122). هناك أقوال عدة لأهل التفسير في تفسير هذه الآيات، تبين علاقة معجزة العصا بمقصد الهداية، ومن هذه الأقوال على سبيل المثال:

1. " وألقي السحرة عندما عاينوا من عظيم قدرة الله، ساقطين على وجوههم سجدا لربهم، يقولون: " آمنا برب العالمين "، يقولون: صدقنا بما جاءنا به موسى" [2].

---

[1] أبو زهرة،:محمد، **زهرة التفاسير**، (القاهرة: دار الفكر، د. ط، د. ت)، ج10، ص5436.

[2] الطبري: **جامع البيان في تأويل آي القرآن**، تحقيق: محمود شاكر، (القاهرة: مكتبة ابن تيمية، د.ط، د.ت)، ج13، ص32.

2. "والسجود هيئة خاصة لإلقاء المرء نفسه على الأرض يقصد منها الإفراط في التعظيم، وسجودهم كان لله الذي عرفوه حينئذ بظهور معجزة موسى – عليه السلام – والداعي إليه بعنوان كونه رب العالمين" [1].

3. "ومن هنا تحول السحرة من التحدي السافر إلى التسليم المطلق، الذي يجدون برهانه في أنفسهم عن يقين" [2].

4. "والمراد أن ظهور بطلان سحرهم، وإدراكهم فجأة لحقيقة موسى عليه السلام، وعلمهم بأنها من عند الله تعالى لا صنع فيها لمخلوق قد ملأت عقولهم يقينا وقلوبهم إيمانا فكان هذا اليقين في الإيمان البرهاني الكامل، والوجداني الحاكم على الأعضاء والجوارح هو الذي ألقاهم على وجوههم سجدا لله رب العالمين" [3].

5. " بأنهم لما قالوا: (آمنا برب العالمين) قال لهم فرعون إياي تعنون؟ فلما قالوا: (رب موسى) قال إياي تعنون لأني أنا الذي ربيت موسى؟ فلما قالوا: (وهارون) زالت الشبهة، وعرف الكل أنهم كفروا بفرعون وآمنوا بإله السماء" [4] .

6. "فعرفوا أن هذه آية عظيمة من آيات الله لا يدان لأحد بها. فألقي السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون أي: وصدقنا بما بعث به موسى من الآيات البينات"[5].

---

[1] الطاهر بن عاشور: **التحرير والتنوير**، ج9، ص52.

[2] سيد قطب: **في ظلال القرآن**، ج1، ص1350.

[3] رشيد رضا: محمد، **تفسير المنار**، (القاهرة: دار المنار، ط2، 1366هـ/1947م)، ج9، ص69.

[4] الرازي: فخر الدين، **التفسير الكبير "مفاتح الغيب"**، (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر– ط1،1401هـ/1981م)، ج14، ص215.

[5] السعدي، عبدالرحمن بن ناصر، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، تحقيق: سعد بن فواز الصميل، (الدمام: دار ابن الجوزي، ط1، 1422هـ)، مج3، ص575.

وقعت المعجزة الإلهية على يد موسى –عليه السلام–أمام فرعون وملئه، فأيقن السحرة بصدق دعوة موسى – عليه السلام– واستجابوا لله مُعلنين إيمانيهم برب العالمين بلا تردد، فقد وقر اليقين في قلوبهم غير مبالين بما سيحل بهم من بلاء. حين يسجد المرء لشيء ما؛ فإن ذلك يدل على التقديس.

والتقديس: يستلزم الطاعة والولاء فبعد معاينة السحرة للمعجزة خروا سجدا اعترافا منهم برب موسى– عليه السلام– الداعي إليه. وبعد إيمانهم أقروا ببطلان سحرهم وتخلوا عن التحدي وما وعدهم به فرعون من إكرام وعلو منزلتهم عنده، فقد آثروا ما عند الله بعد تصديقهم بالبينات التي جاء بها موسى– عليه السلام–.

وأما قوله تعالى: ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ (46) قَالُوا آَمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (47) رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ (48)﴾ (سورة الشعراء:46–48). "الفاء هنا للترتيب والتعقيب؛ أي أنهم فور ما رأوا أن العصا تلقف ما يأفكون؛ فتبتلع مادة سحرهم، وجدوا الحقيقة، فألقي السحرة ساجدين؛ مبني للمفعول؛ إشارة إلى أن إيمانهم هو الذي ألقاهم ساجدين؛ وكأنهم غير مختارين ولا مريدين" [1].

وقوله تعالى: ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ﴾ (سورة طه: 72).

قال الإمام الطبري رحمه الله– (ت: 310هـ) " قالت: السحرة لفرعون لما توعدهم بما توعدهم به ﴿لَنْ نُؤْثِرَكَ﴾ فنتبعك ونكذب من أجلك موسى ﴿عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ﴾ يعني من الحجج والأدلة على حقيقة ما دعاهم إليه موسى" [2].

---

[1] محمد أبو زهرة: **زهرة التفاسير**، ج10، ص5355.

[2] الطبري: أبي جعفر محمد، **جامع البيان في تأويل آي القرآن**، تحقيق: عبدالله عبدالمحسن التركي، (القاهرة: دار هجر،ط1، 1422هـ/2001م)،ج16، ص116.

فهؤلاء السحرة قد بهرتهم المعجزة – فهم أهل الصنعة– وينبغي أن تكون معجزة النبي من جنس ما اشتهر به قومه، فهذا أدعى إلى الهداية.

ومن هنا تظهر قوة الإيمان فقد تمكن اليقين من قلوبهم لدرجة مجابهتهم لفرعون علناً وتصريحهم بالإيمان بالله والتصديق بالبينات التي جاء بها موسى– عليه السلام– رغم ما يتوعدهم به فرعون من العذاب والتنكيل، –فسبحان الله– تبدل حالهم من تعظيمهم لعزة فرعون حين ألقوا عصيهم، إلى قولهم: ﴿لَنْ نُؤْثِرَكَ﴾ إنها الهداية الإلهية التي تنير العقول بالحقائق، وتعلق القلوب بالله.

المبحث الثاني: معجزة اليد وعلاقتها بمقصد الهداية:

يشتمل هذا المبحث على مطلبين:

المطلب الأول: معجزة يد موسى- عليه السلام- دليل النبوة:

أيد الله تعالى نبيه بمعجزة اليد أيضاً بالإضافة إلى معجزات أخرى سأبينها لاحقاً- إن شاء الله تعالى-

ومن الآيات التي ذكرت فيها معجزة اليد قوله – جل وعلا-: ﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَىٰ (22) لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى (23)﴾ (سورة طه: 22-23).

"واضمم يا موسى يدك، فضعها تحت عضدك; والجناحان هما: اليدان، وهذه علامة ودلالة أخرى غير الآية التي أريناك قبلها من تحويل العصا حية تسعى على حقيقة ما بعثناك به من الرسالة لمن بعثناك إليه"[1].

وقال الطاهر بن عاشور: هذه معجزة أخرى علمه الله إياها حتى إذا تحدى فرعون وقومه عمل مثل ذلك أمام السحرة. والجناح: العضد وما تحته إلى الإبط، أطلق عليه ذلك تشبيها بجناح الطائر. والضم: الإلصاق، أي ألصق يدك اليمنى التي كنت ممسكا بها العصا. جعل الله تغير

---

[1] الطبري: **جامع البيان في تأويل آي القرآن**، ج16، ص49،51.

لون جلد يده عند مماستها جناحه تشريفا لأكثر ما يناسب من أجزاء جسمه بالفعل والانفعال. ومعنى (من غير سوء) من غير مرض مثل البرص والبهق [1].

" لنريك أي: خذ هذه الآية أيضا- بعد قلب العصا حية لنريك بهاتين الآيتين بعض آياتنا الكبرى، أو لنريك بهما الكبرى من آياتنا، أو لنريك من آياتنا الكبرى فعلنا ذلك"[2].

وقوله أيضاً: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ (سورة النمل: 12)

"وفي (أدخل) من المبالغة مالم يكن في قوله: ﴿اسْلُكْ﴾ (سورة القصص: الآية 32)

وفي قوله -تعالى-: ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾ (سورة الأعراف: 108).

يقول: د. عبد الكريم زيدان: (ت: 2014م) والواقع أن فرعون تحير لما رأى معجزتي موسى: العصا واليد، وأصابه الخوف، حتى زال عنه ذكر ادعائه الألوهية، وبلغت به الاستكانة والضعف للملأ الذين هم بزعمه عبيده، وهو آلههم إلى مرتبة أصبح فيها يستشيرهم في أمر موسى، وهكذا جعل عبيده آمرين، مأموراً لما استولى عليه من فرط الدهشة والحيرة [3].

كما قال – عز وجل-: ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (109) يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ (110) قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (111) يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ (112)﴾ (سورة الأعراف: 109-112).

---

[1] ابن عاشور: الطاهر، **التحرير والتنوير**، ج16، ص208. بتصرف

[2] الزمخشري: أبي القاسم محمود بن عمر، **تفسير الكشاف عن التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، تحقيق: خليل مأمون شيخا، (بيروت: دار المعرفة، ط3، 1430هـ/2009م)، ص654.

[3] زيدان: عبدالكريم، **المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة**، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1319هـ/1998م)، ج1، ص328. بتصرف

المطلب الثاني: معجزة اليد وعلاقتها بمقصد الهداية:

معجزة اليد أيضاً لها علاقة بمقصد الهداية ويدل على ذلك قوله تعالى مُخاطباً موسى – عليه السلام: ﴿لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى (23) اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (24)﴾ (سورة طه: 23-24).

وهذه الآية تشير إلى مقصد الهداية، في البداية أخبر الله رسوله بأن معجزة اليد آية من آياته، ثم أمره بالذهاب إلى فرعون ليدعوه إلى الله والكف عن الطغيان وظلم بني إسرائيل، فخروج يد موسى– عليه السلام– بيضاء من غير سوء، أمر يثير دهشة الناظرين إليها حين تغير حالها أمام ناظريهم خصوصاً وأنهم على علم بحال يد موسى– عليه السلام قبل تحقق معجزة اليد. مما جعل فرعون وملأه يخشون من تأثير هذه المعجزة في الناس فيؤمنوا بدعوة موسى– عليه السلام– ويهتدوا إلى الله ويتركوا عبادة فرعون من دون الله. وهذا ما يخشاه فرعون أن يزول ملكه وجبروته بسبب معجزات موسى– عليه السلام–.

المبحث الثالث: معجزات موسى – عليه السلام– الأخرى وعلاقتها بمقصد الهداية:

ثمة معجزات أخرى لموسى – عليه السلام– ولكنها تختلف عن معجزتي العصا واليد وفي هذا المبحث سأبينها وأضح علاقتها بمقصد الهداية والتي ذكرت في القرآن الكريم في عدة مواضع منه في المطلب الأول:

المطلب الأول: الآيات الواردة في معجزات موسى– عليه السلام– الأخرى:

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ۖ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُورًا (101) قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا (102)﴾ (سورة الإسراء: 101–102).

وقد ذكر ابن كثير –رحمه الله–: قول ابن عباس (ت: 68هـ) – رحمه الله– في الآيات التسع: " يخبر تعالى أنه بعث موسى بتسع آيات بينات، وهي الدلائل القاطعة على صحة نبوته وصدقه فيما أخبر به عمن أرسله إلى فرعون، وهي: العصا، واليد، والسنين، والبحر، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، آيات مفصلات" [1] . وذكر الإمام الطبري رحمه الله– (ت: 310هـ) أقوالاً أخرى في الآيات التسع: كالعقدة التي كانت بلسانه، والطمسة، والحجر، والنقص من الثمرات [2].

---

[1] ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**، ج5، ص114.

[2] الطبري: **جامع البيان في تأويل آي القرآن**، تحقيق: عبدالله بن عبد المحسن التركي، (القاهرة: دار هجر، ط1، 1422هـ/2001م)، ج15، ص100، 101. بتصرف

قوله – جل وعلا–: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَونَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّن الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ (سورة الأعراف: 130) وجملة معنى الآية أنه تعالى أخذ آل فرعون بالجدب وضيق المعيشة؛ لعلهم يتذكرون ضعفهم أمام قوة الله، ولعلهم إذا تذكروا اعتبروا واتعظوا فرجعوا عن ظلمهم لبني إسرائيل، وأجابوا دعوة موسى –عليه السلام– [1].

قوله – سبحانه–: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلاَتٍ فَاسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ (سورة الأعراف: 133).

يقول: محمد رشيد رضا (ت: 1354هـ) –رحمه الله–في تفسيره "أي: فأنزلنا عليهم هذه المصائب والنكبات، حال كونها آيات بينات على صدق رسالة عبدنا موسى بأن توعدهم بها قبل وقوع كل واحدة منها تفصيلا لا إجمالا؛ لتكون دلالتها على صدقه واضحة لا تحتمل التأويل بأنها وقعت بأسباب لها لا دخل لرسالته فيها"[2]. وفسرها الشيخ سيد قطب – رحمه الله– (ت: 1966م) بقوله: " للإنذار والابتلاء.. آيات مفصلات.. واضحة الدلالة، منسقة الخطوات، تتبع الواحدة منها الأخرى، وتصدق اللاحقة منها السابقة" [3].

قوله – عز وجل–: ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (سورة الأعراف: 134).

---

[1] رشيد رضا: محمد، **تفسير المنار**، ج9، 87. بتصرف

[2] رشيد رضا: محمد، **تفسير المنار**، ج9، ص89.

[3] قطب: سيد **في ظلال القرآن**، ص 1358.

قال أبو جعفر: "اختلف أهل التأويل في معنى "الطوفان". فقال بعضهم: هو الماء. وابن عباس قال: لما جاء موسى بالآيات، كان أول الآيات الطوفان، فأرسل الله عليهم السماء. وبعضهم وآخرون قالوا: "الطوفان" الماء، "والطاعون". وروي عن السيدة عائشة رضي الله عنها أنها قالت: قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم – الطوفان: الموت. وقال آخرون: بل ذلك كان أمرا من الله طاف بهم. وقال بعضهم: هو كثرة المطر والريح. قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك عندي، ما قاله ابن عباس– رحمه الله–، استناداً إلى مقولة: "طاف بهم أمر الله يطوف طوفانا"، وإذا كان ذلك كذلك، جاز أن يكون الذي طاف بهم المطر الشديد وجاز أن يكون الموت الذريع"[1].

المطلب الثاني: معجزات موسى الأخرى وعلاقتها بمقصد الهداية:

في هذا المطلب، سأوضح–إن شاء الله– كل معجزة من هذه المعجزات على حدة وعلاقتها بمقصد الهداية من خلال السؤالين الآتيين: الأول: ما المقصود بالمعجزات الأخرى لموسى– عليه السلام–؟ والثاني: ما علاقة هذه المعجزات بمقصد الهداية؟

---

[1] الطبري: **جامع البيان في تأويل آي القرآن**، ج13، ص49،53.

أولاً: المقصود بالمعجزات الأخرى لموسى- عليه السلام:

المعجزة الأولى: الطوفان:

أولاً: الطوفان: ذكرت هذه المعجزة في قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلاَتٍ فَاسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ (سورة الأعراف: 133).

والطوفان: آية من آيات الله الكبرى، ودليل حسي على صدق نبوة موسى- عليه السلام- إلى فرعون وملأه، وهو أمر من أوامر الله يمضيه على من يشاء من عباده، ويكون إنذاراً بالعقوبة الإلهية أيضاً على المُكذبين بآياته -سبحانه.

ثانياً: علاقة معجزة الطوفان بمقصد الهداية:

أحياناً يكون الترهيب سبباً من أسباب الهداية فحين تخاف النفس من كارثة طبيعية: كطوفان مثلاً، أو كارثة بشرية: كالحرب والقتل، فإنها تلجأ بفطرتها لا شعورياً إلى قوة إلهية عظمى تحتمي بها، فترى المرء يتخلى عن حوله وقوته وينسى جبروته وطغيانه عند وقوع بلاء عليه، كل ما يتذكره في تلك اللحظات الصعبة هو قوة إلهية تنقذه من الهلاك. وقد يكون الترهيب في هذه الحالة لإيقاع العقوبة بالظالمين المُكذبين ليكونوا عبرة وآية لمن بعدهم، وأرى بأن معجزة الطوفان في قصة موسى عليه السلام لها علاقة بمقصد الهداية من **ناحيتين:**

الناحية الأولى: وقوع معجزة الطوفان على فرعون وملئه في إيقاظ للقلوب الغافلة، وتذكير أصحاب الفطرة السليمة بأن هناك إله أقوى من فرعون بيده ملكوت الكون كله، يتصرف فيه كما يشاء لا يجرأ أحد كائناً من كان أن يعترض أمره وحكمه، فتستيقظ القلوب الغافلة من غفلتها ويتفكر أصحاب الفطرة السليمة في حالهم، وما كانوا عليه من غفلة عن رب العالمين، خصوصاً وأن هذه المعجزة وقعت بعد تذكيرهم بالله تعالى، فيراجعوا أنفسهم وينيبوا إلى خالقهم، فيؤمنوا به ويصدقوا نبيه، ويتبعوا ما جاء به من الحق.

الناحية الثانية: إن وقوع معجزة الطوفان على فرعون وقومه فيها دعوة لكل عاقل أن يتأمل ويتفكر في عظمة هذا الكون وسننه الكونية الدالة على وجود خالق لهذا الكون الفسيح المُحكم، خالق عظيم وإله يستحق العبادة والتسليم المطلق، ومن هنا يتضح مقصد الهداية من هذه المعجزة.

المعجزة الثانية: الجراد:

أولا: ذكرت هذه المعجزة في قوله – عز وجل–: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلاَتٍ فَاسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ (سورة الأعراف: 133) "**والجراد:** الحشرة الطائرة من فصيلة الصراصير والخنافس له أجنحة ستة ذات ألوان صفر وحمر تنتشر عند طيرانه. وهو مهلك للزرع والشجر، يأكل ورق الشجر وقشره، فهو من أسباب القحط[1]. أصاب أرض قوم فرعون ولم يصب أرض بني إسرائيل [2].

---

[1] القحط: احتباس المطر. ابن منظور: **لسان العرب**، ج٧، ص، ٣٧٤.

[2] ابن عاشور: الطاهر، **التحرير والتنوير**، ج9، ص69. بتصرف

ثانياً: علاقة معجزة الجراد بمقصد الهداية:

يُعد الجراد من أضعف مخلوقات الله –تبارك وتعالى– فعندما يسلطه الله على أعتى عباده فرعون وقومه، ويأمر الرب جلت قدرته بأن يأكل الزرع وورق الشجر فلا يبقي منها ما يأكله فرعون وقومه أو ينتفعون به، فإن هذا آية من آيات الله ومعجزة من معجزات موسى – عليه السلام–تدل على أن فرعون وملأه لاحول لهم ولا قوة، إذا إن حشرة صغيرة تسلبهم قوتهم وتتسبب في إصابتهم بالقحط، فلا يجدون لذلك من خلاص إلا بالاستغاثة بموسى – عليه السلام– أن يدعو ربه لكشف الضر عنهم، وهنا: يتفكر العاقل في حال فرعون وقومه، وماهم عليه من الضعف وقلة الحيلة أمام حشرة صغيرة سلطها الله عليهم، فيراجع نفسه ويدرك بأن الذي خلق هذه الحشرة الصغيرة وسلطها على فرعون الذي طغى وادعى الألوهية والربوبية، هو الإله الحق الذي ينبغي أن يعبده وحده.

المعجزة الثالثة: القُمل:

أولا: ذكرت هذه المعجزة في قوله – عز وجل–: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلاَتٍ فَاسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ (سورة الأعراف: 133). والقُمل: بضم القاف وتشديد الميم المفتوحة، وهو يمتص دم الإنسان وهو غير القمل – بفتح القاف وسكون الميم الذي هو من الحشرات الدقيقة التي تكون في شعر الرأس [1]

---

[1] ابن عاشور: الطاهر، **التحرير والتنوير**، ج9، ص69.بتصرف

ثانياً: علاقتها بمقصد الهداية:

وقد سلط الله على فرعون وملئه القُمل فأصبحت حياتهم لا تطاق، لإنزال العقوبة بهم لأنهم كذبوا بدعوة موسى –عليه السلام– وهذه معجزة تدل على نبوته – عليه السلام– والدليل أنهم استغاثوا بموسى ليدعو ربه بأن يكشف البلاء عنهم، والناظر المتأمل في حال فرعون وملئه، يدرك بأن هذه معجزة إلهية من رب العالمين تدل على صدق موسى– عليه السلام–في دعوته إلى الله – تبارك وتعالى–. **ومن هنا: يتبين مقصد الهداية من هذه المعجزة،** هذا والله أعلم.

المعجزة الرابعة: الضفادع:

أولاً: ذكرت هذه المعجزة في قوله – عز وجل–: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلاَتٍ فَاسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ (سورة الأعراف: 133).

والضفادع: جمع ضفدع وهو حيوان يمشي على أرجل أربع ويسحب بطنه على الأرض ويسبح في المياه، ويكون في الغدران ومناقع المياه، صوته مثل القراقر يسمى نقيقا. أصابهم جند كثير منه يقع في طعامهم يرتمي إلى القدور، ويقع في العيون والأسقية وفي البيوت فيفسد ما يقع فيه وتطؤه أرجل الناس فتتقذر به البيوت [1].

ثانياً: علاقتها بمقصد الهداية:

هذه المعجزة لها علاقة بمقصد الهداية من حيث الآتي:

---

[1] ابن عاشور: الطاهر، **التحرير والتنوير**، ج9، ص70–69. بتصرف

- إنها آية من آيات الله تعالى تدل على عظمته – جل في علاه– فهو خالق هذا الحيوان الصغير الذي أفسد على فرعون وقومه حياتهم وحولها إلى جحيم. وهذه المعجزة دليل على وجود الله –سبحانه– فالذي خلق هذا المخلوق الضعيف وسلطه على أعتى طغاة الأرض ليفسد عليه حياته، إله بيده ملكوت كل شيء يستحق الإيمان به، وإتباع رسوله.

- أنها عقوبة إلهية وقعت على فرعون وملئه حين كذبوا برسالة موسى– عليه السلام–وهذا أمر يدعو إلى العظة والاعتبار، وفي رأيي: أن هذا بحد ذاته مقصد من مقاصد الهداية من وقوع هذه المعجزة.

- إنها تدل على صدق موسى في تبليغ رسالته والدليل على صدقه أن سخر الله له مخلوقاته وقد أيقن فرعون وقومه بصدق موسى– عليه السلام–ولكنهم مع ذلك جحدوا بها لم يهتدوا، لقوله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ (سورة النمل: 14).

المعجزة الخامسة: الدم

أولاً: ذكرت هذه المعجزة في قوله – عز وجل–: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلاَتٍ فَاسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ (سورة الأعراف: 133).

الدم: معروف، وقيل: صارت مياه القبط كالدم في اللون، كما في التوراة، ولعل ذلك من حدوث دود أحمر في الماء فشبه الماء بالدم، وسلمت مياه "جاسان" قرية بني إسرائيل [1].

ثانياً: علاقتها بمقصد الهداية:

الماء ضروري لاستمرار الحياة البشرية وأي شيء يلوثه حتى يصبح غير مستساغ الشرب أو لا يمكن الانتفاع به فإن ذلك يُعد كارثة تنذر بالهلاك أو حياة مأساوية للغاية. ومما يلوث الماء" الدم" مما يجعل الاستفادة منه تكاد تكون مستحيلة.

وهذا ما أصاب فرعون وقومه بعد تكذيبهم لموسى– عليه السلام– فقد صارت المياه كالدم لا يُمكن شربها أو حتى الانتفاع بها، وشيء ضروري كالماء يتلوث بهذا الشكل، ولا يستطيع فرعون مُدعي الألوهية والربوبية أن يغير من أمر الله شيئاً فالله – جل شأنه– وحده المُتصرف في هذا الكون، وهذا دليل على ضعف فرعون أمام هذه المعجزة الإلهية.

ومن المنطق أن يعي العقلاء من قومه بأن فرعون لا حول له ولا قوة فهو لا يستطيع دفع بلاء كهذا، وما هذه المعجزة إلى تذكير من الله تعالى لفرعون وملئه، بأن الذي أوقع بهم هذا البلاء هو القادر على رفعه عنهم، لو آمنوا به وصدقوا بنبيه– عليه السلام–. **ومن هنا:** نستطيع القول:

---

[1] ابن عاشور: الطاهر، **التحرير والتنوير**، ج9، ص70 بتصرف.

بأن الدم الذي أرسله الله على فرعون وقومه هو آية من آياته وبرهان على صدق النبي موسى– عليه السلام– فيما أُرسل به من ربه.

المعجزة السادسة: السنون:

أولاً: ذكرت هذه المعجزة في قوله – جل وعلى–: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَونَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّن الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ (سورة الأعراف: 130) السنون: " فعبارة عن الجدب ،أكثر ما تستعمل السنةُ في الحول الذي فيه الجدب" [1] وقال ابن عباس –رحمه الله– أما "السنون" فكانت لباديتهم وأهل مواشيهم [2].

ثانياً: علاقتها بمقصد الهداية:

لهذه المعجزة علاقة بمقصد الهداية من حيث الآتي:

- من المعلوم أن القحط عندما يصيب أرض قوم فإنه يُهلك الثروة الحيوانية والنباتية مما يؤدي إلى مجاعة تنذر بالموت البطيء، وهذا ما أصاب آل فرعون حين كذبوا بموسى– عليه السلام– وهذه المعجزة ماهي إلا تذكير لآل فرعون بأن يؤمنوا بموسى– عليه السلام– ويتبعوا دعوته. فالقصد: منها اتباع الهداية التي جاء بها موسى عن ربه.

- السنين آية من آيات الله الدالة على كمال قدرته – تبارك وتعالى– سلطها على آل فرعون حتى استنجدوا بموسى – عليه السلام– يدعو ربه لهم بكشفها عنهم، وهذا يدل على صدق نبوته ودعوته، وآل فرعون كانوا على يقين من ذلك، ولكنهم جحدوا علواً واستكبارا، فعندما

---

[1] الأصفهاني: **مفردات غريب القرآن**، ص، ٤٣٠.

[2] الزمخشري: **تفسير الكشاف عن التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل** ، ص380.بتصرف

أصابهم القحط تخلى آل فرعون عن ربوبية فرعون واستغاثوا برب موسى- عليه السلام- وهنا: يتبين لنا مقصد الهداية من هذه المعجزة وهو الإنابة لرب العالمين – جل في علاه.

- هذه المعجزة التي وقعت على آل فرعون عبرة لكل مُعتبر بأن لا ينازع الله في ربوبيته ولا يجاهر بعصيانه ويُكذب بآياته، فلو تأملنا حال فرعون قبل إصابة قومه بالقحط، لوجدنا أنه طغى وتجبر وظن بأن لا أحد يستطيع بأن يواجه عظمته وجبروته، وظن أنه القادر على كل شيء، فكانت هذه المعجزة دليلاً واضحاً على ضعفه وقلة حيلته، وهذا ما يدفع بالعقلاء إلى الاعتبار والإيمان بالله وحده.

المعجزة السابعة: نقص الثمرات:

أولاً: ذكرت هذه المعجزة في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَونَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّن الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ (سورة الأعراف: 130). قال الطاهر بن عاشور" ونقص الثمرات قلة إنتاجها قلة غير معتادة لهم، فتنوين (نقص) للتكثير ولذلك نكر (نقص) ولم يضف إلى (الثمرات) لئلا تفوت الدلالة على الكثرة"[1].

ثانياً: علاقتها بمقصد الهداية:

نقص الثمرات دليل على غضب الله تعالى على آل فرعون كما قال: ابن عاشور –رحمه الله – (ت:1393هـ) في تفسير الآية "تنبيه للأمة للنظر فيما يحيط بها من دلائل غضب الله فإن سلب النعمة للمنعم عليهم تنبيه لهم على استحقاقهم إعراض الله – تعالى –عنهم"[2].

---

[1] ابن عاشور: الطاهر، **التحرير والتنوير**، ج9، ص64.

[2] المرجع السابق: ج9، ص64.

وهو تنبيه إلهي بأن الذي رزقهم هذه النعم قادر على سلبها منهم إن لم يؤمنوا به ويتبعوا رسوله. **ومن هنا:** يتضح لنا بأن هذه المعجزة تذكير لفرعون وقومه بأن من أنعم عليهم هو الله ومن سلبهم هذه النعمة هو الله أيضاً، فذلك يتوجب عليهم الإيمان به والتصديق برسوله، حتى يرفع عنهم هذا البلاء. وهذا يتضح من نهاية الآية نفسها في قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾.

الفصل الثاني: حوارات ومناظرات موسى –عليه السلام– وأثرها في مقصد الهداية

ويشتمل الفصل على مبحثين:

المبحث الأول: حوارات موسى –عليه السلام –وأثرها في مقصد الهداية.

المبحث الثاني: مناظرات موسى –عليه السلام – وأثرها في مقصد الهداية.

المبحث الأول: حوارات موسى- عليه السلام-وأثرها في مقصد الهداية:

يشتمل هذا المبحث على عدة مطالب، وهي:

المطلب الأول: حوار موسى- عليه السلام- مع ربه وأثره في مقصد الهداية:

سأذكر في هذا المطلب ما يأتي:

أولاً: آيات الحوار بين موسى -عليه السلام- وربه:

وأود أن أشير للقارئ بأني سأوضح فقط، آيات الحوار ذات الصلة بمقصد الهداية، ومنها:

قوله – عز وجل-: ﴿وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ (سورة النساء: 164).

قال الإمام ابن عطية -رحمه الله- (ت:481هـ) في تفسير قوله -جل وعلا-: ﴿وَكَلَّمَ اللّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ " إخبار بخاصة موسى؛ وأن الله تعالى شرفه بكلامه"[1].

وقال: محمد رشيد رضا- رحمه الله-خاصاً ممتازاً عن غيره من ضروب الوحي العام لأولئك النبيين كما يفهم من قوله -تعالى-: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾ (سورة الشورى:51)

---

[1] ابن عطية: أبي محمد عبد الحق الأندلسي، **المحرر الوجيز الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: عبدالله إبراهيم الأنصاري، السيد عبدالعال السيد إبراهيم، (الدوحة: مؤسسة دار العلوم للطباعة، ط2، 1428هـ/2007م)، ج6، ص69.

والظاهر أن تكليم موسى كان من النوع الثاني، وهو التكليم من وراء حجاب، وقد سماه وحياً في قوله: ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾ (سورة طه: 13). أما حقيقة ذلك الوحي والتكليم فليس لنا أن نخوض فيه ; لأننا لم نكن من أهله [1].

وقوله أيضا: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (10) قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ (11)﴾ (سورة الشعراء: 10-11).

قال: الشيخ: سيد قطب – رحمه الله- (ت: 1966م) في تفسير الآية " وهذا هو المشهد الأول: مشهد التكليف بالرسالة لموسى – عليه السلام – وهو يبدأ بإعلان صفة القوم: القوم الظالمين فقد ظلموا أنفسهم بالكفر والضلال، وظلموا بني إسرائيل بما كانوا يذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم"[2].

وقد بين الله –سبحانه- لنبيه موسى عليه السلام- المُهمة التي أرسله بها إلى فرعون، فقال: ﴿اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ (17) فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ (18) وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ (19)﴾ (سورة النازعات: 17-19).

فسر ابن كثير –رحمه الله- الآيات: ﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ أي: تجبر وتمرد وعتا، ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَى أَن تَزَكَّى﴾؟ أي: قل: له هل لك أن تجيب إلى طريقة ومسلك تزكى به، أي: تسلم وتطيع. ﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ﴾أي: أدلك إلى عبادة ربك، ﴿فَتَخْشَى﴾ أي: فيصير قلبك خاضعاً له مطيعاً خاشياً بعدما كان قاسياً خبيثاً بعيدا من الخير [3].

---

[1] رشيد رضا: محمد، **تفسير المنار**، ج6، ص71. بتصرف

[2] قطب، سيد: **في ظلال القرآن**، ص2589.

[3] ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج8، ص315 بتصرف

وذكر الشيخ الشنقيطي – رحمه الله – (ت:1393هـ) قولاً رائعاً، في تفسير الآية فقال:

" ومع ذلك فيكون منهج الدعوة من أكرم خلق الله إلى أكفر عباد الله بهذا الأسلوب الهادئ اللين الحكيم، منطلقاً من قوله تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾" [1].

وحينما أمر الله نبيه موسى– عليه السلام– بدعوة فرعون وقومه إلى الإيمان، رد موسى –عليه السلام–: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ (33) وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي ۖ إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ (34)﴾ (سورة القصص: 33–34)

" يقولها لا ليعتذر، ولا ليتقاعس، ولا لينكص; ولكن ليحتاط للدعوة، ويطمئن إلى مضيها في طريقها، لو لقي ما يخاف. وهو الحرص اللائق بموسى القوي الأمين" [2].

وقوله: ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ﴾ وقوله: ردءاً: عوناً، فأرسله معي زيادة في تصديقي [3] استجاب الله لطلب موسى– عليه السلام– في هذه الآية من سورة القصص ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ﴾ (سورة القصص: 35).

فسرها الفخر الرازي –رحمه الله– (ت: 606هـ) في تفسير الآية: العضد قوام اليد وبشدتها تشتد، ومعنى سنشد عضدك بأخيك: سنقويك به [4].

---

[1] الشنقيطي: محمد المختار، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، (بيروت: دارالفكر، د.ط، 1415هـ/1995م)، ج8، ص420.

[2] قطب: سيد، **في ظلال القرآن**، ص2593

[3] القنوجي: صديق خان، **فتح البيان في مقاصد القرآن**، ج10، ص117.بتصرف

[4] الرازي: **التفسير الكبير "مفاتح الغيب"**، ج24، ص250. بتصرف

ثم أمر الله نبيه بالذهاب لفرعون وذلك في قوله: ﴿اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي (42) اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ (43) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ (44)﴾ (سورة طه: 44-42)

قال: أثير الدين الأندلسي: " أمره الله تعالى بالذهاب إلى فرعون فلما دعا ربه وطلب منه أشياء كان فيها أن يشرك أخاه هارون فذكر الله أنه آتاه سؤله وكان منه إشراك أخيه، فأمره هنا وأخاه بالذهاب"[1] أما الشيخ سيد قطب – رحمه الله- (ت: 1966م) فقال: " اذهبا إليه غير يائسين من هدايته، راجيين أن يتذكر ويخشى. فالداعية الذي ييأس من اهتداء أحد بدعوته لا يبلغها بحرارة، ولا يثبت عليها في وجه الجحود والإنكار"[2].

وقوله: ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾ (سورة طه: 47) أي: أرسلنا إليك يأمرك أن ترسل معنا بني إسرائيل، فأرسلهم معنا ولا تعذبهم (قد جئناك بآية) معجزة (من ربك) على أنه أرسلنا إليك بذلك. (والسلام على من اتبع الهدى) يقول: والسلامة لمن اتبع هدى الله[3].

ثم دعا موسى – عليه السلام-ربه ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (25) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (26) وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي (27) يَفْقَهُوا قَوْلِي (28)﴾ (سورة طه: 25 -28).

---

[1] أبي حيان الأندلسي، أثيرالدين، **البحر المحيط**، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1،1423هـ/ 2002م)، ج6، ص304.

[2] قطب، سيد: **في ظلال القرآن، ص**2336.

[3] الطبري: **جامع البيان في تأويل آي القرآن**، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1415هـ/1994م)،ج5، ص197،198. بتصرف

ذكر القرطبي (ت: 671هـ) –رحمه الله– في تفسير هذه الآية: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ أي: وسعه ونوره بالإيمان والنبوة. ﴿وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾ أي: سهل علي ما أمرتني به من تبليغ الرسالة إلى فرعون. ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي﴾ يعني العجمة التي كانت فيه [1].

ثم استجاب الله لنبيه مرة أخرى، ونجد ذلك في سورة طه:(قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾. (سورة طه: 36) **بمعنى:** " قد أعطيت ما سألت يا موسى ربك من شرحه صدرك وتيسيره لك أمرك، وحل عقدة لسانك، وتصيير أخيك هارون وزيرا لك، وشد أزرك به، وإشراكه في الرسالة معك" [2].

---

[1] القرطبي: أبي عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، وأخرون، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1،1427هـ/2006م)، ج14، ص51. بتصرف

[2] الطبري: **جامع البيان في تأويل آي القرآن**، ج5، ص193،194.

ثانياً: أثر هذا الحوار في مقصد الهداية:

لو قمنا بتحليل هذا الحوار سنجد أنه كان حول أربعة أمور:

الأول: إبلاغ الله تعالى نبيه بمهمة النبوة، ودعوة فرعون إلى الإيمان، وهذا يتضح في قوله: (اذهب).

الثاني: منهج اللين والرفق أقرب وسيلة لهداية المدعو، لذا ناسب التلطف مع فرعون في الدعوة.

الثالث: القصد من دعوة موسى- عليه السلام- هداية قومه إلى ربهم.

الرابع: من مقاصد الهداية سلامة المُهتدين من العذاب.

المطلب الثاني: حوار موسى- عليه السلام- مع قومه وأثره في مقصد الهداية:

تنقسم آيات حوار موسى هنا إلى قسمين هما:

القسم الأول: آيات حوار موسى مع قومه:

من آيات الحوار بين موسى- عليه السلام-وقومه، قوله: - جل وعلا-في سورة البقرة ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً ۖ قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (67) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ ۚ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ (68) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ (69) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ (70) قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي

الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ (71) وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا ۖ وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ (72) فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (سورة البقرة: 67- 73).

نلاحظ هنا: مماطلة قوم موسى- عليه السلام- في تنفيذ أمر الله بذبح البقرة التي أمرهم بذبحها، لكي يتعرفوا على هوية القاتل المجهول من خلال ضرب المقتول بجزء منها، فيحيي الله القتيل ويخبرهم القتيل بقاتله. الله أراد من ذلك أن تكون البقرة آية من آياته الدالة على صدق نبوة موسى -عليه السلام- وأنه مُرسل من عنده إليهم؛ لعلهم يهتدون بعد معاينتهم، لهذا البرهان الحسي على صدقه.

وقد يقول: قائل: **أليست هذه البقرة من المعجزات؟ فلماذا لم يتم ذكرها ضمن معجزات موسى- عليه السلام-؟. الجواب:** أرى- والله أعلم- أن تلك معجزات تتضمن التحدي، بعضها فيه تحدي صريح غير مقترن بعذاب أو عقوبة، وبعضها الأخر فيه تحدي غير صريح ومقترناً بعقوبة أو عذاب. أما حادثة البقرة فلم يكن فيها تحدي صريح ولا ضمني، وليس مقترن بعقوبة أو عذاب، لذا أرى أنه برهان حسي على أن موسى- عليه السلام- يحظى بتأييد إلهي. هذا التأييد كافٍ بحد ذاته أن يتفكروا فيه، حتى يتبين لهم الحق، فيؤمنوا بدعوة موسى ويصدقوا برسالته.

ثم يخبرنا ربنا – تبارك وتعالى-مرة أخرى في آيات متفرقة عن حوار مع موسى -عليه السلام- قومه، ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ (84) فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (85) وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (86)﴾ (سورة يونس: 84 -86).

فسر الزمخشري– رحمه الله– (ت: 538هـ) الآية بقوله:" صدقتم به وبآياته، فعليه توكلوا: فإليه أسندوا أمركم في العصمة من فرعون، ثم شرط في التوكل الإسلام، وهو أن يسلموا نفوسهم لله، أي: يجعلوها له سالمة خالصة لا حظ للشيطان فيها; لأن التوكل لا يكون مع التخليط"[1].

أما رشيد رضا ففسرها: "﴿وَقَالَ مُوسَى﴾ لمن آمن من قومه وقد رأى خوفهم من الفتنة والاضطهاد مرشدا ومثبتا لهم: ﴿يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾ أي: إن كنتم آمنتم بالله حق الإيمان فعليه توكلوا، وبوعده فثقوا، إن كنتم في إيمانكم مستسلمين مذعنين بالفعل، وإنما يكون الإيمان يقينًا إذا صدقه العمل وهو الإسلام"[2].

وهنا: أود أن أشير إلى وقفات تدبرية استوقفتني لها علاقة بمقصد الهداية في هذه الآية، وهي:

- التوكل على الله هو التسليم التام له، والتوكل عليه –سبحانه– لا يتم إلا بالإيمان به وحده.
- التوكل على الله من مقاصد الهداية التي دعا موسى– عليه السلام– قومه إليها.
- من مقاصد الهداية كذلك تحقيق الطمأنينة الروحية، ولا يحصل ذلك إلا بالتسليم لرب العالمين.

كان فرعون ينكل ببني إسرائيل ويذيقهم أشد أصناف العذاب، فخشي موسى– عليه السلام– أن يفتنهم فرعون عن دينهم فذكرهم – عليه السلام بوعد الله وأن العاقبة لمن اتقى ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا ۖ إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ

---

(1) الزمخشري: **تفسير الكشاف عن التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، ص471.

(2) رشيد: رضا، **تفسير المنار**، ج11، ص470.

(128) قَالُوا أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ (129)﴾ (سورة الأعراف: 129-128).

يقول: الماوردي (ت: 450هـ) -رحمه الله- " **يحتمل وجهين: أحدهما:** أنه أمرهم بذلك تسلية لهم من وعيد فرعون كما يقول من نالته شدة: استعنت بالله. **والثاني:** أنه موعد منه بأن الله سيعينهم على فرعون إن استعانوا به. "[1].

أما الإمام ابن عطية -رحمه الله- (ت:481هـ): فقد ذكر في تفسير الآية ﴿فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ تنبيه وحض على الاستقامة، وإن قدر هذا الوعد أنه من عند الله[2].

خرج موسى- عليه السلام- من مِصر بعد ذلك بعدما أمره ربه بالخروج منها هو ومن آمن معه يقول الله- تبارك وتعالى- في ذلك: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾ (سورة الشعراء: 52)

وبينما هم في الطريق لحق بهم فرعون وجنوده يريد أن يبطش بهم، قال-جل وعلا-: ﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ (61) قَالَ كَلَّا ۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ (62) فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ ۖ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ (63) وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ (64) وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ (65)﴾ (سورة الشعراء:61 -65)

---

[1] الماوردي: أبو الحسن علي بن محمد البصري، **النكت والعيون**، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت)، ج2، ص249.

[2] ابن عطية: **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزير**، تحقيق: عبدالسلام عبد الشافي محمد، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1422هـ)، ج2، ص442. بتصرف

وبفضل الله نجوا من فرعون وجنوده ثم مروا على قوم يعبدون الأصنام من دون الله. فطلبوا من موسى –عليه السلام– أن يجعل لهم إلهاً يعبدونه كما لهؤلاء القوم إله.

وهنا: يصور لنا القرآن هذا المشهد من القصة في قوله تعالى: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (138) إِنَّ هَٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (139) قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (140)﴾ (سورة الأعراف: 140–138).

"وقطعنا ببني إسرائيل البحر بعد الآيات التي أريناهموها، والعبر التي عاينوها على يدي نبي الله موسى، فلم تزجرهم تلك الآيات، ولم تعظهم تلك العبر والبينات! إذ قالوا: "اجعل لنا" يا موسى "إلهاً" نعبده وصنماً نتخذه إلهاَ، كما لهؤلاء القوم أصنام يعبدونها. وقال موسى– عليه السلام–: إنكم أيها القوم قوم تجهلون عظمة الله وواجب حقه عليكم، ولا تعلمون أنه لا تجوز العبادة لشيء سوى الله الذي له ملك السماوات والأرض[1] ".

ولكن قومه افتتنوا بعبادة الأصنام بعدما ذهب موسى– عليه السلام– لميقات ربه، قال – تعالى– في كتابه العزيز: ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي (86) قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ (87) فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَٰذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ (88)﴾ (سورة طه: 88–86).

---

[1] الطبري: **جامع البيان في تأويل آي القرآن**، مج3، ص492.

ثم قال: موسى –عليه السلام– للسامري. كما جاء في الآيات ﴿قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ إِلَٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا (97) إِنَّمَا إِلَٰهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا (98)﴾ (سورة طه: 98–97).

قال ابن عاشور– رحمه الله–(ت:1393هـ) في تفسير هذه الآية" فجعل الاستدلال بالنظر إشارة إلى أنه دليل بين لا يحتاج المستدل به إلى أكثر من المشاهدة؛ فإن دلالة المحسوسات أوضح من دلالة المعقولات. وأضاف الإله إلى ضمير السامري تهكما بالسامري وتحقيرا له "[1] .

وبعدها خبرنا القرآن مرة أخرى بالحوار موسى – عليه السلام– مع قومه قال: – تعالى– ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُواْ إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (سورة البقرة:54).

يقول: محمد رشيد رضا في تفسير ﴿فَتُوبُواْ إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ﴾ أي: فتوبوا إلى خالقكم الذي لا يجوز أن تعبدوا معه إلها آخر هو أدنى منكم، وهو من خلقكم وذلك بأن يقتل بعضكم بعضاً، ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ﴾ لأنه يطهركم من رجس الشرك الذي دنستم به أنفسكم ويجعلكم أهلا لما وعدكم به في الدنيا ولمثوبته في الآخرة.[2]

ثانياً: مقصد الهداية من هذا الحوار:

مقاصد الهداية في هذا الحوار تتضح في الآتي:

---

[1] ابن عاشور: الطاهر، **التحرير والتنوير**، ج16، ص299.

[2] رشيد: رضا، **تفسير المنار**، ج1، ص320–319. بتصرف

- من مقاصد الهداية التذكير بالله وإيقاظ القلوب الغافلة من غفلتها، كما فعل موسى– عليه السلام– حينما ذكر قومه بتوحيد الله وعدم الإشراك به شيئا.

- الاستعانة بالله والصبر مؤشر على الهداية، فمن يهتدي إلى الله يستعين به، ويصبر على البلاء ابتغاء مرضاته.

- العناية الإلهية لعباده المؤمنين دليل أخر على الهداية، فأولياء الله لا خوف على ولا هم يحزنون.

- الغضب لله من سمات المؤمنين.

- التوبة النصوح مقصد من مقاصد الهداية.

القسم الثاني: آيات حوار موسى مع آل فرعون:

بعدما أخبر الله – جل وعلا– موسى بأمر الرسالة، قال: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (45) إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ (46)﴾ (سورة المؤمنون: 45-46)

قال الإمام الطبري (ت: 310هـ) –رحمه الله في تفسير الآية " ثم أرسلنا بعد الرسل الذين وصف صفتهم قبل هذه الآية، موسى وأخاه هارون إلى فرعون وأشراف قومه من القبط (بآياتنا) يقول: بحججنا (فاستكبروا) عن اتباعها، والإيمان بما جاءهم به من عند الله (وكانوا قوما عالين) يقول: وكانوا قوما عالين على أهل ناحيتهم، ومن في بلادهم من بني إسرائيل وغيرهم بالظلم،

قاهرين لهم"[1] ذكر الإمام الألوسي –رحمه الله– (ت: 1270هـ) في تفسيره لقوله تعالى: (وسلطانٍ مُبينٍ) عدة معان منها: " وممكن أن يقال: المراد بالسلطان تسلط موسى –عليه السلام– في المحاورة والاستدلال على الصانع عز وجل وقوة الجأش والإقدام"[2].

ومن الآيات الدالة على الحوار بين موسى– عليه السلام – وآل فرعون:

قوله: –تعالى– ﴿فَلَمَّا جَاءَهُم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ (36) وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِ وَمَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ ۖ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (37)﴾ (سورة القصص: 36–37).

قال الإمام الطبري (ت: 310هـ)– رحمه الله–" فلما جاء موسى فرعون وملأه بأدلتنا وحججنا بينات أنها حجج شاهدة بحقيقة ما جاء به موسى من عند ربه، قالوا لموسى: ما هذا الذي جئتنا به إلا سحر افتريته من قبلك وتخرصته كذباً وباطلاً (وما سمعنا بهذا) الذي تدعونا إليه من عبادة من تدعونا إلى عبادته في أسلافنا وآبائنا الأولين الذين مضوا قبلنا" [3].

البعض ينكر الحقيقة بتكذيبها وهذا ما قام به فرعون وملئه، لم يتقبلوا الحق فانكروه بزعمهم أن ما جاء به موسى– عليه السلام– سحرٌ مفترى.

---

[1] الطبري: **جامع البيان في تأويل آي القرآن**، تحقيق: بشار عواد معروف، عصام فارس الحرستاني، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1415هـ/1994م)، مج5، ص366.

[2] الألوسي: شهاب الدين محمود بن عدالله الحسيني، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، تحقيق: علي عبدالباري عطية، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ)، ج9، ص237.

[3] الطبري: **جامع البيان في تأويل آي القرآن**، ج6، ص25 .

قال الإمام الزمخشري– رحمه الله– (ت: 538هـ): " وهذا دليل على أنهم حجوا وبهتوا، وما وجدوا ما يدفعون به ما جاءهم من الآيات إلا قولهم هذا سحر وبدعة لم يسمعوا بمثلها"[1].

وقوله: أيضاً ﴿قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلاَ يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ﴾ (سورة يونس: 77).

هنا: يتعجب موسى– عليه السلام– من إنكارهم للحق بزعمهم أنه سحر، ثم يخبرهم بأن السحرة لا يفلحون في تضليل الناس عن رؤية الحق والإيمان به.

قوله: كذلك ﴿قَالُواْ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاء فِي الأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ﴾ (سورة يونس: 78).

قال الإمام ابن عطية– رحمه الله– (ت:481هـ) : " قال قوم فرعون لموسى: أجئتنا لتصرفنا وتلوينا وتردنا عن دين آبائنا؟ يقال: "لفت الرجل عن الآخر" إذا لواه، ومنه قولهم: التفت، فإنه افتعل من لفت عنقه"[2].

---

[1] الزمخشري: **تفسير الكشاف عن التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، ص801.

[2] ابن عطية: ، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ج3، ص135.

استوقفتني في الآية كلمة (لِتَلْفِتَنَا) فيها وقفات تدبرية تستحق الذكر وهي:

- التعبير بالالتفات يوحي بأن الأمر الذي تم الالتفات لأجله يثير الانتباه، وكأن دعوة موسى– عليه السلام– أثارت انتباه القوم، فأصابهم الخوف من اتباع موسى– عليه السلام– وترك دين آبائهم.
- وكأنهم يخشون من مجرد الالتفات إلى الحق، من شدة تعلقهم بالباطل.
- التزييف وإلقاء التهم جزافاً حيلة من لا يستطيع مقارعة الحجة بالحجة.
- التشكيك في النوايا الصادقة، طبع من استحوذ عليه سوء الظن.

قال رشيد رضا: " أي قال لهم متعجباً من قولهم أتقولون هذا الذي قلتم للحق الظاهر، الذي هو أبعد الأشياء عن كيد السحر الباطل، لما جاءكم وعرفتموه واستيقنته أنفسكم" [1].

قال الشيخ محمد أبو زهرة– رحمه الله– (ت: 9741م): " ثم أكدوا كفرهم بالحق لما جاءهم فقالوا: وما نحن لكما بمؤمنين نفوا عن أنفسهم صفة الإيمان نفياً مؤكداً وكان ذلك:**أولاً:** بذكر الضمير الدال على التعظيم. **ثانياً:** بالجملة الاسمية، وقوله: (لكما) لامتناع التسليم، بل إنهم غير مستسلمين، بل هم منصرفون"[2].

وتعقيباً على ما قال أبو زهرة فإن الضمير الدال على التعظيم "نحن" مرتبط بحب فرعون لجاهه وجبروته وكذلك بازدراء موسى –عليه السلام– والتقليل من شأنه وخوفه من أن يعلو عليه

---

[1] رشيد رضا: **تفسير المنار**، 11، ص 381.

[2] أبو زهرة: محمد، **زهرة التفاسير**، ج7، ص3621.

موسى في المكانة بين قومه والدليل على ذلك قوله ﴿وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاء فِي الأَرْضِ﴾ فلذلك قال: ﴿وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ﴾.

ويقول: الشيخ سيد قطب – رحمه الله– (ت: 1966م) في تفسير الآية" إنها العلة القديمة الجديدة، التي تدفع بالطغاة إلى مقاومة الدعوات، وانتحال شتى المعاذير، ورمي الدعاة بأشنع التهم، والفجور في مقاومة الدعوات والدعاة.. إنها الكبرياء في الأرض وما تقوم عليه من معتقدات باطلة يحرص المتجبرون على بقائها متحجرة في قلوب الجماهير، بكل ما فيها من زيف، وبكل ما فيها من فساد، وبكل ما فيها من أوهام وخرافات. لأن تفتح القلوب للعقيدة الصحيحة، واستنارة العقول بالنور الجديد، خطر على القيم الموروثة، وخطر على مكانة الطغاة ورهبتهم في قلوب الجماهير"[1].

أن من مصلحة الطغاة كفرعون إبقاء أتباعهم في جهل وتغييب حتى لا يتمردوا عليه ويتخلوا عنه باتباع موسى –عليه السلام–.

قال الشيخ السعدي –رحمه الله– (ت: 1270هـ): " مع أن موسى عليه الصلاة والسلام كل من عرف حاله، وما يدعو إليه، عرف أنه ليس له قصد في العلو في الأرض، وإنما قصده كقصد إخوانه المرسلين، هداية الخلق، وإرشادهم لما فيه نفعهم"[2].

أن فرعون تقصد إساءة فهم نوايا موسى –عليه السلام– لتأويله لها على أن موسى ما أراد من دعوته إلا منافسته، في العلو والمكانة وهذا طبع كل نفس استحوذ عليها الهوى والغرور،

---

[1] قطب، سيد: **في ظلال القرآن**، مج3، ص1814.

[2] السعدي: **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ص371.

وهنا وقفة تربوية هامة ألا وهي أنه لا ينبغي لصاحب الحق أن يضيق صدره بتأويل معارضيه لنواياه بل يثبت على ما هو عليه من الحق ويكشف باطلهم بالحجة البينة.

قوله: أيضا ﴿وَقَالُواْ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِن آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (سورة الأعراف: 132).

وهنا نرى إشعاراً تاماً من فرعون وقومه بإنكار كل الآيات التي جاء بها موسى–عليه السلام–أو قد يجيء بها بعدما عظم عليهم صدقها وعجزهم عن ردها او تحديها فلجأوا إلى أقرب تهمة ألا وهي السحر لإنكارها بالكلية.

قوله: –تعالى– ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (109) يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ (110) قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (111) يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ (112)﴾ (سورة الأعراف: 109–112).

قال ابن كثير –رحمه الله–: "وتشاوروا في أمره، وماذا يصنعون في أمره، وكيف تكون حيلتهم في إطفاء نوره وإخماد كلمته، وظهور كذبه وافترائهم، وتخوفوا من معرفته أن يستميل الناس بسحره فيما يعتقدون فيكون ذلك سبباً لظهوره عليهم، وإخراجه إياهم من أرضهم والذي خافوا منه وقعوا فيه"[1].

وهكذا قال أصحاب فرعون بعدما وقعت عليهم المعجزة إنه ساحر هدفه إخراج فرعون من سلطانه فطلبوا أوامره وقد بهت فرعون من هول ما رأى من الآيات، ثم جاء الأمر على غير

---

[1] ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**، ج3، ص455، 456.

المتوقع من قبلهم، فقالوا: أبقه واخاه وأتِ بمن اشتهر عنهم السحر. ليتحدوه ويحفظوا شيئاً من ماء وجهه.

قوله : ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى (59) فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَىٰ (60) قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ (61) فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَىٰ (62) قَالُوا إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ (63) فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ (64)﴾ (سورة طه: 59-64).

قال الإمام الزمخشري: وإنما واعدهم ذلك اليوم ليكون علو كلمة الله وظهور دينه وكبت الكافر وزهوق الباطل على رؤوس الأشهاد؛ لتقوى رغبة من رغب في اتباع الحق [1].

قوله: ﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (118) فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانقَلَبُوا صَاغِرِينَ (119)﴾ (سورة الأعراف: 118-119). قال رشيد رضا: " فثبت الحق وفسد ما كانوا يعملون من الحيل والتخييل وذهب تأثيره"[2].

أثر هذا الحوار بمقصد الهداية:

بعدما ذكرنا الآيات المُتعلقة بالحوار بين موسى- عليه السلام- وآل فرعون، سأوضح الآن أثر هذا الحوار في مقصد الهداية فيما يأتي:

---

[1] الزمخشري: **الكشاف**، ص659.بتصرف

[2] رشيد، رضا: **تفسير المنار**، ج9، ص61.

- المقصد الأساس من تأييد موسى –عليه السلام– بالأدلة الحسية والعقلية (الآيات والسلطان المبين) هو هداية قومه إلى الإيمان.

- من مقاصد الهداية بيان حقيقة الباطل وزيفه، لعلهم يعرفون الحق فيهتدون إليه.

- من مقاصد الهداية أيضاً التأكيد على أن الهدى لا يمكن أن يكون ضلالاً، وإن تغيرت مفاهيم البشر؛ لذلك قال موسى– عليه السلام– لآل فرعون: ﴿أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلاَ يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ﴾ والله أعلم.

- من مقاصد الهداية كذلك إصلاح شأن المرء كله، ولو كان هذا الإصلاح يقتضي منه ترك الموروث الفاسد والعقائد الباطلة.

- من مقاصد الهداية بيان أن الإعراض عن الحق، من صفات المُكذبين.

المطلب الثالث: حوار موسى– عليه السلام– مع السحرة وأثره في مقصد الهداية:

ورد في القرآن الكريم حوار موسى – عليه السلام مع السحرة في آيات عدة، وهي:

قوله– تعالى–: ﴿ قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى قَالَ بَلْ أَلْقُوا ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ (66) فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ (67) قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ (68) وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ (69) فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ (70)﴾ (سورة طه:65–70)

سألوا موسى–عليه السلام–. أيهما من يبدأ بالإلقاء هو أم هم، فقال –عليه السلام–: بل ألقوا ما أنتم مُلقون، وهنا قدمهم على نفسه في الإلقاء، مع أن الحق معه وهو الأولى في التقديم،

وهنا يتبين لنا أمران: **الأول:** أن موسى هنا في مقام التحدي، والذي يتحدى لا يستعجل، بل ينظر لقدرات خصمه أولاً، حتى يعرف كيف يغلبه، أما الأمر **الثاني:** أن موسى – عليه السلام– كان يعلم علم اليقين بأنه هو المُنتصر، لأنه مُرسل من رب العالمين ولن يخذله الله أبدا.

قوله: ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنتُم مُّلْقُونَ (43) فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ (44)﴾ (سورة الشعراء: الآيات 43–44) ألقى السحرة حبالهم وعصيهم قائلين بعزة فرعون ظناً منهم أن عزة فرعون ستنصرهم، على موسى– عليه السلام–، ولكن الله كشف حقيقة سحرهم وباطلهم أمام الملأ، وفي يوم زينتهم.

قوله: ﴿قَالَ أَلْقُوْاْ فَلَمَّا أَلْقَوْاْ سَحَرُواْ أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ (سورة الأعراف: 116) برع آل فرعون في السحر لدرجة ترهب الناس وقد وصف الله تعالى ذلك كما بأنه سحر عظيم كما جاء في هذه الآية، وهذا السحر العظيم لابد من شيء يبطله حتى يعود الناس إلى رشدهم، ويدكوا بأنه سحر لابد له من شيء يبطله، فكان هذا الشيء معجزة عصا موسى– عليه السلام–.

قوله: ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ ۖ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ (81) وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ (82)﴾ (سورة يونس: 81–82).

السحر فساد فهو يفسد عقيدة صاحبه أولاً ويفسد حياة الواقع عليهم ثانياً والله – جل وعلا–أرسل موسى – عليه السلام– يصحح العقائد ويصلح حياة قومه، ويبين الحق ويبطل الباطل بكلماته.

قوله: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ (سورة الأعراف: 117). أوحى الله إلى موسى– عليه السلام بأن يلقي العصا التي في يده فانقلبت حية تسعى تلقف حبال سحرة فرعون وعصيهم، ومن يُعمل عقله ويتفكر فيما جرى بين موسى – عليه السلام– والسحرة يدرك بأن السحرة خداعون لا يصمد سحرهم أمام معجزة موسى الإلهية، إذ حتى السحرة أنفسهم أدركوا الحق ووقر الإيمان في قلوبهم فصدقوا برسالة موسى– عليه السلام.

وهذا هو المقصود من هذا التحدي إدراك الحق واتباعه. ولهذا لم يتمالك السحرة أنفسهم، حينما رأوا عصا موسى– عليه السلام– تنقلب إلى ثعبان مُبين: ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ﴾ (سورة الشعراء: الآية 46) كما وصفهم الله من عظم ما رأوه من قدرة الله على كل شيء ولم يكن أمامهم إلا أن يعلنوا إيمانهم بالله أمام الملأ بكل شجاعة وجرأة ﴿قَالُواْ آمَنَّا بِرِبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (سورة الأعراف: 121). ثم بينوا من هو رب العالمين الذي آمنوا به كي لا يلتبس على العامة بأن ما قالوه يقصدون به فرعون لذلك أكدوا بقولهم: ﴿رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ (سورة الأعراف: 122). هذا ربنا الذي آمنا به، وليس فرعون مدعي الربوبية.

غضب فرعون على سحرته وتوعدهم بالعذاب، كما جاء في القرآن الكريم ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُم بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (123) لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (124) قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ (125) وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا ۚ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ (126)﴾ (سورة الأعراف: 126–123). قام فرعون بتعذيبهم وتقطيع أيديهم وأرجلهم من خلاف ثم قام بصلبهم على جذوع النخل، ولكن يقينهم بالله ووعده كان أقوى من فرعون وبطشه.

من مقاصد الهداية في هذا الحوار، الآتي:

- الثبات على الحق وتحمل الأذى في سبيله. كما ثبت السحرة أمام تهديدات فرعون لهم ووعيده ﴿قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ (125) وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا ۚ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ (126)﴾ (سورة الأعراف: 125-126).

- الرغبة فيما عند الله وذلك في قوله: -تعالى- ﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ (50) إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ (51)﴾ (سورة الشعراء: 51إلى50).

- الإيمان بالله يزيل المخاوف من قلب المؤمن لأن المؤمن القوي لا يخشى إلا الله، فما إن وقر الإيمان في قلوب أولئك السحرة حتى زالت عنهم خشية فرعون، قال: -تعالى-على لسانهم: ﴿قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾

المبحث الثاني: مناظرات موسى- عليه السلام- مع فرعون وأثرها في مقصد الهداية:

المناظرة لا تسمى مناظرة إن لم يكن للمتناظرين أفكار وآراء متعارضة، يستدعي هذا التعارض إقامة المناظرة وتقديم الأدلة من الطرفين، ولذلك ينبغي لمن يناظر ليبين الحق أن يستمع لمن يناظر عن الباطل، وأن يتبع آداب المناظرات ويتحلى بالصبر على مخالفه حتى ينتهي من تقديم حجته وأدلته.

جرت مناظرة بين موسى – عليه السلام- وفرعون، ذُكرت في القرآن الكريم وفي هذا المبحث

سأبين في ثلاثة مطالب موضوع تلك المناظرة، وأدلتها ونتائجها، وأثرها في مقصد الهداية. ونبدأ بالمطلب الأول:

المطلب الأول: موضوع المناظرة بين موسى-عليه السلام- وفرعون وأثرها في مقصد الهداية:

كان موضوع المناظرة عن الألوهية والربوبية فقد ادعى فرعون الألوهية وأنه قادر على كل شيء وبيده ملكوت كل شيء وأفسد في الأرض بطغيانه وجبروته، وقد ذكرت هذه المناظرة التي جرت بين موسى- عليه السلام- وفرعون في قوله -تعالى-: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ (49) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ (50) قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ (51) قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى (52)﴾ (سورة طه: 52-49).

فسر ابن عاشور– رحمه الله– (ت:1393هـ) هذه الآية بقوله: " وأعرض عن أن يقول: فمن ربي؟ إلى قوله (فمن ربكما) إعراضاً عن الاعتراف بالربوبية ولو بحكاية قولهما، لئلا يقع ذلك في سمع أتباعه وقومه فيحسبوا أنه متردد في معرفة ربه، أو أنه اعترف بأن له ربا "[1].

وهنا: يتبين لنا بأن الكبر والعناد سبب جحود الحق وعدم قبوله، كما فعل فرعون حينما سأل موسى– عليه السلام– بأسلوب المتكبر المتعالي ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَى﴾ كما أن الخروج عن موضوع النقاش يدل على رغبة المناظر في التملص من موضوع المناظرة أو للتضليل والتدليس على الجمهور، وهذا ما فعله فرعون حين قال: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾ (سورة طه: 51).

قال الرازي – رحمه الله– (ت: 606هـ) في تفسير قوله – تعالى–: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾ " فكان موسى– عليه السلام– لما استدل بالدلالة القاطعة على إثبات الصانع قدح فرعون في تلك الدلالة بقوله: إن كان الأمر في قوة هذه الدلالة على ما ذكرت وجب على أهل القرون الماضية أن لا يكونوا غافلين عنها فعارض الحجة بالتقليد"[2].

وحجة فرعون واستدلاله بالقرون الأولى حجة واهية، فلا يلزم أن من جاءه العلم من عند الله أن يقلد الجاهل بالله فيما يصنع أو يتعبد، وجواب: موسى– عليه السلام– ذكي فقد أجابه إجابه شافية كافية ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ فيقطع الطريق أمام فرعون للخروج عن موضوع المناظرة.

---

[1] ابن عاشور:الطاهر، **التحرير والتنوير**، ج16، ص232.

[2] الرازي: **التفسير الكبير**، "**مفاتح الغيب**"، ج22، ص59.

فقوله: ﴿عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي﴾ يثبت التزام موسى بما أرسل به. فهو لا يتكلم فيما لا يعرف أو لم يكُلف به من ربه ﴿حَقِيقٌ عَلَى أَن لَّا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ (سورة الأعراف: 105) فما جرى للقرون الأولى علمها عند الله وحده، وهذا إقرار من موسى– عليه السلام– أنه لا يعرف من الغيب إلا ما أوحي إليه فما هو إلا بشر رسول.

قال: الإمام ابن عطية– رحمه الله–(ت:481هـ) " استبد موسى عليه السلام بجوابه من حيث خصه في السؤال، ثم أعلمه من صفات الله بالتي لا تشريك لفرعون فيه ولا بوجه مجاز "[1].

في إجابته –عليه السلام– تحدٍ لفرعون بأن يمتلك تلك الصفات الإلهية إن كان صادقاً في ادعائه الألوهية ولكن هيهات أن يكون له ذلك، لذلك كان جواب موسى – عليه السلام– ثقيلاً على نفس فرعون، فهو لا يستطيع أن يثبت للحضور بأنه يمتلك الصفات الإلهية التي يمتلكها رب موسى وهذا ما جعله في موقف مُحرج أمام قومه. وقال الرازي – رحمه الله– (ت: 606هـ) " دلت الآية على أن المحق يجب عليه استماع كلام المبطل، والجواب عنه من غير إيذاء ولا إيحاش كما فعل موسى عليه السلام بفرعون ههنا"[2].

---

[1] ابن عطية: **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** ، ج4، ص47.

[2] الرازي: **التفسير الكبير " مفاتح الغيب"**، ج22، ص56.

أثر موضوع المناظرة في مقصد الهداية:

القصد من هذه المناظرة أساساً هو إرشاد العقول إلى خالق كل شيء، وبيان أن فرعون ليس إلهاً يُعبد من دون الله، وذلك من خلال معرفة معنى توحيد الألوهية والربوبية الذي أقيمت المناظرة لأجله، ومتى ما أدرك قوم فرعون هذا المعنى بشكل صحيح فإنهم سيهتدون – بإذن الله– إلى إلههم الحق المستحق للعبادة الخالصة بلا شريك ولا ند.

المطلب الثاني: أدلة المناظرة بين موسى– عليه السلام– وفرعون وأثرها في مقصد الهداية:

أولاً: أدلة حسية:

قوله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ (23) قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ (24)﴾ (سورة الشعراء: 24–23). في هاتين الآيتين أدلة حسية كالسماوات والأرض وما بينهما من المخلوقات، فكلها أدلة حسية تدرك بالحواس الخمس، ومن المعلوم أن ما يدرك بالحس يوقن به العقل الصحيح.

ثانياً: أدلة عقلية:

في قوله –تعالى–: ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ (سورة طه: 50) قوله: ثم هدى يشمل كل أنواع الهداية التي يهبها الرب لمخلوقاته، والدليل هنا: "هدى" الهداية شيء معنوي وهو كالبصيرة أو الإلهام، والشيء المعنوي يدرك بإعمال العقل والتفكر فيه والنظر إلى مُسببه فالعقل يربط الأسباب بمُسبباتها، ربطا قائما على أساس المنطق فمن المنطق أن المُهتدي لابد له من هادي، فلا هداية بلا هادي. وهذا بحد ذاته يدفع العقل للبحث والتحري عن ذلك الهادي الذي هدى المخلوقات لما تستقيم به حياتها.

بالإضافة إلى دليل آخر في قوله– تعالى–: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ (23) قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ (24) قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ (25) قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (26) قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (27) قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ (28)﴾ (سورة الشعراء: 28–23).

فسر الإمام البغوي – رحمه الله– (ت: : 510هـ) الآية بقوله: " يقول: أي شيء رب العالمين الذي تزعم أنك رسوله إلي؟ يستوصفه إلهه الذي أرسله إليه ب "ما"، وهو سؤال عن جنس الشيء، والله منزه عن الجنسية، فأجابه موسى عليه السلام بذكر أفعاله التي يعجز عن الإتيان بمثلها. ﴿قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ إنه خالقهما"[1].

---

[1] البغوي: أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء الشافعي، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 1420هـ)، ج3، ص465.

وقوله: ﴿قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ دليل عقلي أخر على أن الكون بما فيه لابد له من خالق عظيم بيده ملكوت كل شيء، وإليه يرجع الأمر كله، فيستحيل للعقل أن يصدق بأن هذا الكون الفسيح المصمم والمُحكم خالقه بشر فهذه قدرات إلهية لا تكون إلا لإله قدرته تفوق قدرة البشر مهما عظمت قدرتهم كفرعون مثلاً.

وقوله: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ (الإسراء: 102).

قال ابن عاشور – رحمه الله– (ت:1393هـ): أن فرعون لم يبق في نفسه شك في أن تلك الآيات لا تكون إلا بتسخير الله، إذ لا يقدر عليها غير الله. وإنما أيقن موسى بأن فرعون قد علم بذلك: إما بوحي من الله أعلمه به، وإما برأي مصيب ; لأن حصول العلم عند قيام البرهان الضروري حصول عقلي طبيعي، لا يتخلف عن عقل سليم. والإشارة بـ " هؤلاء " إلى الآيات التسع، والبصائر: الحجج المفيدة للبصيرة، أي العلم، فكأنها نفس البصيرة. أيقن فرعون بصدق موسى– عليه السلام– فيما بلغ عن ربه، لقوة المعجزات ووضوح الأدلة من خلق وتدبير، ومع ذلك آثر الإعراض عن الإيمان بالله، كي لا يخسر ملكه وسلطانه وإلهيته المزعومة عند قومه. مع أن كل هذه البصائر تشيرإلى صدق النبوة [1].

---

[1] ابن عاشور: الطاهر، **التحرير والتنوير**، ج15، ص227–226. بتصرف

أثر هذه الأدلة في مقصد الهداية:

لإدراك معرفة الأشياء لابد من وسائل تعين على ذلك ومن هذه الوسائل، الآتي:

- **الوسائل الحسية:** وهي الحواس الخمس التي تدرك بها حقيقة الأشياء المادية. ومن أهم تلك الحواس البصرية والسمعية وهذا مما استدل به موسى –عليه السلام– في مناظرته لفرعون.
- **الوسائل العقلية:** وهي التفكير والتأمل والاستنباط والاستنتاج أي: إعمال العقل في ربط الأسباب بالمسببات والأثر بالمؤثر، والمقدمات بالنتائج وهذا مما استدل به أيضاً، موسى– عليه السلام– في المناظرة.

المطلب الثالث: نتائج المناظرة بين موسى– عليه السلام–وفرعون وأثرها في مقصد الهداية:

لهذه المناظرة نتائج، وهي كالآتي:

1. هداية طائفة من بني إسرائيل إلى الإيمان واتباعهم لموسى– عليه السلام.
2. هداية مؤمن آل فرعون للإيمان بالله وتصديقه بموسى– عليه السلام.
3. هداية امرأة فرعون إلى الإيمان بالله وحده وصبرها على البلاء في سبيل ذلك.
4. تصحيح الاعتقاد الفاسد بأن فرعون إله يُعبد وبيان الحقيقة في أنه بشر مثلهم لا يستحق التعظيم.
5. توجيه العباد إلى العقيدة الصحيحة المبنية على توحيد الله لا شريك له في العبادة.
6. إظهار الحق أمام الملأ بأن موسى – عليه السلام– مُرسل من رب العالمين.

7. غضب فرعون وتهديده لمن آمن بموسى- عليه السلام- بالعذاب الأليم.

8. الغضب يعمي صاحبه عن الإقرار بالحق.

أثر هذه النتائج في مقصد الهداية:

1. توفيق الله لموسى- عليه السلام- ومن آمن معه والنجاة من بطش فرعون

والدليل قوله: -تعالى-: ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ (سورة الشعراء: 62).

2. حفظ الله لموسى- عليه السلام- من مكر فرعون حين أخبره مؤمن آل فرعون ونصحه بأن يخرج من المدينة، حتى لا يصيبه مكروه وذلك في قوله: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ (سورة القصص: 20).

3. اليقين بوعد الله ورجاء ثواب الأخرة، كما في قوله- عز وجل-: على لسان امرأة فرعون ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (سورة التحريم: 11).

4. التأكيد بأن الهداية تكون من عند الخالق لا المخلوق.

5. معيار العقيدة الصحيحة هو توحيد الله والإيمان به.

6. قوة الحجة تميز الحق من الباطل.

الفصل الثالث: التكرار في قصة موسى –عليه السلام – وعلاقته بمقصد الهداية

ويشتمل الفصل على تمهيد، وثلاثة مباحث:

التمهيد:

المبحث الأول: التكرار في مشهد موسى – عليه السلام – وفرعون.

المبحث الثاني: التكرار في مشهد موسى – عليه السلام – مع السحرة.

المبحث الثالث: التكرار في مشهد موسى – عليه السلام –مع قومه.

التمهيد:

أغلب قصص القرآن تكررت في أكثر من سورة، ولهذا التكرار غاية بحسب سياق الآيات الواردة وبحسب موضوعات السورة ومحورها، ويظهر هذا في قصة موسى – عليه السلام– فقد تكررت مشاهدها وأحداثها كثيراً في القرآن، ولكل تكرار مقصده الخاص، ومن السور التي تكررت فيها قصة موسى– عليه السلام– هي:

1. البقرة: موسى مع بني إسرائيل.
2. المائدة: موسى، مع بني إسرائيل
3. سورة الأعراف: عرضت جانبين: موسى–عليه السلام– مع فرعون، وموسى – عليه السلام مع بني إسرائيل.
4. يونس: خبر فرعون.
5. إبراهيم: بنو إسرائيل.
6. الكهف: ذكر فيها موسى– عليه السلام مع العبد الصالح.
7. طه: ذكرت فيها ثلاثة جوانب: مبدأ الرسالة، وفرعون، وبنو إسرائيل.
8. الشعراء: ذكر فيها خبر فرعون.
9. النمل: ذكرت فيها الرسالة
10. القصص: ذكر فيها: الميلاد، والرسالة، وفرعون.
11. الصافات: تكريم وامتنان.

12. غافر: خبر فرعون.

13. الزخرف: خبر فرعون.

14. الدخان: خبر فرعون.

15. النازعات: خبر فرعون[1]

أن للتكرار في القصة فوائد وهي:

- الذكرى فإن الذكرى تنفع المؤمنين، وتكرار القصة يبقيها حاضرة في الأذهان.
- الغفلة تعمي عن روية الحق، لذا يُعد التكرار من الأساليب التي توقظ الغافلين.

وذكر الهوبي: إن للتكرار مظهر عام من مظاهر القرآن ويتضح أكثر في القصص القرآني خصوصاً في قصة موسى– عليه السلام– وهذا التكرار لتحقيق مقاصد القرآن في الموضوع الواحد مرة بالشدة وأخرى باللين، وتارة بالتصريح وأخرى بالتلميح، وأساليب متباينة تبعاً لتباين الناس في استعدادهم [2].

وللتكرار مقاصد مُختلفة ذكرها الهوبي في كلامه أنفاً، ولكني أريد أن أضيف على ما قال بأن أسلوب التكرار في القصة القرآنية دليل على الإعجاز البلاغي للقرآن حيث أنه جمع مقاصد متنوعة متباينة في أسلوب التكرار. يقول: التهامي نقره" وفي نظري أن القرآن الكريم لم يكرر من

---

[1] عباس: فضل حسن، **قصص القرآن الكريم**، (عمان: دار النفائس، ط3، 1430هـ/2010م)، ص482،483. بتصرف

[2] الهوبي: جمال محمود محمد، " **معالم الصراع الإيماني في قصة موسى– عليه السلام**–" رسالة ماجستير، (جامعة أم درمان، 1407هـ/1987م)، ص9. بتصرف

القصص أو من حلقاتها إلا ما كان أشد تجاوباً مع بيئة الدعوة، وأكثر استجابة لأهدافها، وخدمة لأغراضها"[1].

ويمكنني أن أضيف على ما قاله: التهامي، أن التكرار قد يأتي في سياق الآيات للتأكيد على أهمية المشهد أو الحدث في قضايا تربوية، وعلمية، واجتماعية، وحتى مقاصد نفسية، فمقاصد التكرار في القصة كثيرة جداً ولا تنحصر في مجال الدعوة فقط. ولكن ما يعنينا في هذا البحث هو علاقة هذا التكرار بمقصد الهداية على وجه التحديد. ولأجل بيان ذلك سأفصل هذه العلاقة في المباحث الآتية:

---

[1] نقره: التهامي، **سيكولوجية القصة في القرآن**، (تونس، الشركة التونسية للتوزيع، د.ط ،1971م)، ص118.

المبحث الأول: التكرار في مشهد موسى – عليه السلام – وفرعون:

يتضمن المبحث مطلبين هما:

المطلب الأول: آيات تكررت في القرآن تتحدث عن موسى – عليه السلام– وفرعون.

قوله –تعالى–: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (103) وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (104)﴾ (الأعراف: 104–103).

"معلوم أن (ثم) حرف عطف مع الترتيب والانفصال، و (بعثنا) معناه: أرسلنا. وصيغة الجمع للتعظيم (من بعدهم موسى) من بعدهم أي: من بعد الرسل المذكورين في هذه السورة، وهم: نوح وهود وصالح ولوط وشعيب، (بعثنا) من بعد هؤلاء نبينا موسى، بعثناه (بآياتنا) وهي الآيات التسع والمعجزات التي جاء بها فرعون، كاليد البيضاء، والعصا الآتية في هذه السورة"[1].

لكل حرف في القرآن معنى يساعد على فهم الآيات، وهذا يدل على بلاغة القرآن الكريم، مثل: التعبير بحرف (ثم) فهو يفيد الترتيب مع التراخي فلم يقل: فبعثنا لأن الأنبياء الذين بعثهم الله على فترات زمنية متباعدة وحرف (ثم) يفيد هذا المعنى، بعكس حرف (الفاء) فهو يفيد الفورية

---

[1] الشنقيطي: محمد الأمين، **العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير**، تحقيق: خالد عثمان السبت، (مكة المكرمة: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، ط2، 1426هـ)، ج4، ص59.

وبذلك يكون المعنى أن الله أرسل الأنبياء في فترة زمنية واحدة، وهذا لم يحصل كما فهمنا من سياق الآية –والله أعلم–.

قوله: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾ (يونس: 75). قال د. وهبة الزحيلي – رحمه الله–:"هذه هي القصة الثانية المذكورة في سورة يونس، وهي قصة موسى وهارون مع فرعون وملئه، وقد تكرر ذكرها في القرآن للدلالة على أن قوة الحق وصوت النبوة يعلوان الملك والحكم والسلطان، ويقوضان العروش، ويزيلان دعائم الباطل"[1].

ولي تعقيب على ما قاله د. وهبة الزحيلي– رحمه الله– أن الصراع بين الحق والباطل، لا يعني أن الحق يغلب الباطل دائماً، ومن يقرأ في أحوال السابقين يجد بأن الأيام دول بين أهل الحق وأهل الباطل، فكم صاحب حق لم ينله، وكم من نبي قتل على يد قومه بلا ذنب ولم يهدد سلطان وملك أحد.

فسر العلامة محمد صديق خان– رحمه الله– (ت: ١٣٠٧هـ) هذه الآية (ثم بعثنا من بعدهم) بقوله: "أي: بعد الرسل المتقدم ذكرهم وخص (موسى وهارون) بالذكر مع دخولهما تحت الرسل لمزيد شرفهما"[2].

---

[1] الزحيلي: وهبه، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، (دمشق: دار الفكر المعاص، ط2، 1418هـ)، ج11، ص235، 236.

[2] القنوجي : محمد صديق خان ، **فتح البيان في مقاصد القرآن**، ج6، ص103.

قوله: ﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ (طه: 24). "وخصه بالذكر لأن قومه تبع له، ثم علل ذلك بقوله: إنه طغى أي عصى وتكبر وكفر وتجبر وتجاوز الحد"[1].

قال الشيخ عويض العطوي: العادة في الطغيان يكون سبباً في البعد وليس سبباً للذهاب! ولكن الله قال: لموسى- عليه السلام- (اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى) وموسى – عليه السلام- يعرف أن فرعون طاغية ولكن الله -سبحانه- أراد تأكيد طغيان فرعون، من خلال سورة طه التي ذُكرت فيها أحداث معجزة العصا، وهذا من خصائص القرآن[2].

ويمكنني أضيف تدبراً آخر في تكرار الآية (اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى) في كلٍ من سورة طه والنازعات، ففي سورة طه جاءت الآية في سياق ذكر معجزات موسى- عليه السلام- وتكليفه بالرسالة ودعوة فرعون إلى الإيمان بالله.

وأما التكرار في سورة النازعات فقد ذكرت بعده الأسباب التي أدت بفرعون إلى هذا الطغيان فقال- عز وجل-: ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ (18) وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ (19) فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ (20) فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ (21) ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ (22) فَحَشَرَ فَنَادَىٰ (23) فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ (24) فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ (25) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ (26)﴾ (النازعات: 18-26).

---

[1] الشوكاني: محمد علي، **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير**، تحقيق: يوسف الغوش (بيروت: دار المعرفة، ط4، 1428هـ/2007م)، ص907.

[2] العطوي: عويض " **لطائف بيانية في قصة قرآنية** 15"، 2/6/2018، https://www.youtube.com/watch?v=7gZEfaM_vF4. بتصرف

وأما التكرار في قوله تعالى: ﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ (طه:43) فقد جاء بعد استجابة الله لدعاء موسى– عليه السلام–، وفسر القرطبي –رحمه الله –الآية بقوله: اذهبا قال في أول الآية: اذهب أنت وأخوك بآياتي وقال: هنا اذهبا، خاطب أولاً موسى وحده تشريفاً له؛ ثم كرر للتأكيد. وقيل: الأول أمر بالذهاب إلى كل الناس، والثاني بالذهاب إلى فرعون [1].

بعدما أمر الله تعالى موسى وأخاه هارون – عليهما السلام– بالذهاب إلى فرعون ودعوته، تحدث القرآن عن مشهد الدعوة في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (الأعراف: 104) من سورة الأعراف كما تكرر هذا المشهد في (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الزخرف: 46) من سورة الزخرف

أن تكرار الألفاظ في سورة الزخرف جزئي وبالتحديد في قوله تعالى: ﴿إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ في سورة الأعراف ذكر حرف الجر (من) ولم يذكر في سورة الزخرف حرف (من) لأنه يفيد التخصيص، أي أن الله – جل وعلا– خص موسى– عليه السلام– بالرسالة إلى فرعون، وأما التكرار في قوله تعالى– ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فهو تكرار (للتوكيد) بأن الله –تبارك وتعالى– هو الرب المستحق للربوبية رب كل شيء وخالق كل شيء، وأنه الإله المتفرد بالألوهية والعالمين عباد له بمن فيهم فرعون نفسه.

قوله – سبحانه–: ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ﴾ (طه: 47). وقوله: ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الشعراء: 16).

---

[1] القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ط2، 1384هـ /1964م)، ج11، ص199. بتصرف

اشتملت الآيات على التكرار اللفظي والتكرار المعنوي معاً، التكرار اللفظي يتضح في لفظ (الإتيان) في قوله: ﴿فَأْتِيَاهُ﴾ وقوله: ﴿فَأْتِيَا﴾ ذكر أ.د. فاضل السامرائي –حفظه الله– معنى الإتيان عند بعض أهل اللغة " وهو المجيء بسهولة"(1) وكأن الله استعمل لفظ (الإتيان) في مخاطبته لموسى وأخيه –عليهما السلام– ليهدأ روعهما من فرعون، ولتذكيرهما بأن يدعوا فرعون بسهولة ولين.

---

(1) السامرائي: فاضل، " لمسات بيانية"، الفرق بين أتى وجاء، 2012/06/07، https://www.youtube.com/watch?v=2G9pZJCA1Fo

المطلب الثاني: أثر تكرار مشهد موسى- عليه السلام مع فرعون في مقصد الهداية:

تكرر مشهد دعوة موسى – عليه السلام- لفرعون كثيراً وهذا يدل على أثره في مقصد الهداية ويتبين ذلك في الآتي:

- التأكيد أن مهمة موسى- عليه السلام- دعوة فرعون إلى الهداية، وهذا يتضح في قوله: -تعالى- في سورة الأعراف ﴿وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وقوله: في سورة الزخرف ﴿فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.
- يمكن أن نستخلص من هذا التكرار فائدة لها تأثير في مقصد الهداية وهي: أن الصدق والوضوح صفتان ينبغي أن يتصف بهما الداعية إلى الله، كما فعل موسى- عليه السلام- حين دعا فرعون إلى الإيمان ﴿وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (4) حَقِيقٌ عَلَىٰ أَن لَّا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ (الأعراف:5-4) حتى لا يدع مجال لمعارضيه أن يكذبوه أو أن يؤولوا قوله على غير تأويله.
- الدعوة إلى الله من أهم الوسائل التي تعين على تحقيق مقصد الهداية.
- التكرار يحث على تدبر الآيات وفهم سياقها فهماً جيداً، وهذا يحقق المقصد منه.

المبحث الثاني: التكرار في مشهد موسى – عليه السلام – مع السحرة وأثره في الهداية:

يتضمن هذا المبحث مطلبين هما:

المطلب الأول: الآيات التي تكرر فيها مشهد موسى –عليه السلام– مع السحرة:

تكرر مشهد موسى– عليه السلام– مع السحرة في السور الآتية:

قوله –تعالى– في سورة الأعراف: ﴿وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ﴾ (الأعراف: 120). وقوله –تعالى– في سورة الشعراء: ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ (46) قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (47) رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾ (الشعراء: 48–46) أما في سورة طه فقال: ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ (70)﴾ (طه:70).

في الأعراف قال –عز وجل– ﴿وَأُلْقِيَ﴾ أما في طه قال: ﴿فَأُلْقِيَ﴾ والواو في سورة الأعراف "تفيد مطلق الجمع"[1]. وهي توحي بأن السحرة سجدوا جميعهم، أما في سورة طه (فالفاء) "تدل على الفورية وعدم التردد"[2]. أما التكرار في سورة الشعراء "استعارة مكنية كأنهم أخذوا فطرحوا على وجوههم"[3] .

---

[1] السامرائي: " **لمسات بيانية– من معاني الواو وأو**"، 2017/10/13، https://www.youtube.com/watch?v=hKt5FYD–b50

[2] عبداوي: حفيظة، **أسلوب التكرار في القصة القرآنية قصة موسى – عليه السلام– نموذجاً**، رسالة ماجستير، (تلمسان، جامعة أبي بكر بلقايد، 1421هـ/2000م)، ص299.

[3] درويش: محيي الدين أحمد مصطفى، **إعراب القرآن وبيانه**، (حمص: دار الإرشاد للشئون الجامعية، ط4، 1415 هـ) ج7، ص، 75.

وأما التكرار في سورة طه في قوله تعالى: ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا﴾ "فليس المراد منه أنهم أجبروا على السجود وإلا لما كانوا محمودين بل التأويل فيه ما قال الأخفش وهو أنهم من سرعة ما سجدوا كأنهم ألقوا" [1].

قوله–جل وعلا–: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُم بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف: 123).

قال –سبحانه–: ﴿قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ﴾ (طه:71).

وقوله –تعالى–: ﴿قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (الشعراء: 49).

قال الشيخ الشعراوي– رحمه الله– (ت: 1418هـ): "﴿قَالَ آمَنتُمْ لَهُ﴾: صدقتموه ﴿قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ﴾ قبل أن آمركم ﴿إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾ سوء تعليل لواقع الإيمان فأنتم لم تؤمنوا به إلا مجاملة، لأن– موسى عليه السلام– هو مُعلمكم ﴿فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ تهديد ووعيد ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ التصليب جعل شيء على شيء وربطه ربطاً مُحكماً، لماذا عبر هنا بـ "في جذوع النخل" ولم يقل "على جذوع

---

[1] الرازي: **مفاتيح الغيب**، ج22، ص75.

النخل"؟ لأن حرف "في" يدل على المبالغة في التصليب تصليباً قوياً تدخل أجزاء المصلوب في المصلوب فيه كأنه ليس عليه بل هو داخل في حيزه [1].

تكرار هذه الآية يدل على شناعة ما فعل فرعون بسحرته حين تخلوا عنه وآمنوا بموسى- عليه السلام- ويدل أيضاً على تسلط فرعون على من خالف أمره، ويوضح كذلك الحالة النفسية الصعبة التي يمر بها فرعون، وهو الذي يظن بأن أمر سحرته في يده، ثم يتفاجأ بعصيانهم له في لحظات كأن يظن بأنه سينتصر فيها ويصدم خذلان السحرة له، حين رأوا معجزة موسى- عليه السلام وصدقوا بأنه نبي من عند الله. ولقد وصف الله هذا الموقف فقال: ﴿قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا ۖ فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (72) إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ ۗ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ (73)﴾ (طه: 72،73).

قوله – عز وجل- في سورة الأعراف:" ﴿آمَنتُم بِهِ﴾ وفي سورتي طه والشعراء ﴿آمَنتُمْ لَهُ﴾ الهاء: في ﴿آمَنتُم بِهِ﴾ ضمير يعود لرب العالمين، ويجوز أن يكون الضمير هنا يعود إلى موسى- عليه السلام- أيضاً، وأما الهاء في ﴿آمَنتُمْ لَهُ﴾ فالضمير هنا: يعود على موسى- عليه السلام- والدليل على ذلك أنها جاءت في سورتي طه والشعراء بعدها ﴿إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾ [2].

---

[1] الشعراوي: تفسير سورة طه الآية " **قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ**"، في 2016/03/25، https://www.youtube.com/watch?v=a8p1VAsfkHk. بتصرف

[2] عبداوي: حفيظة، **أسلوب التكرار في القصة القرآنية قصة موسى – عليه السلام- نموذجاً**، رسالة ماجستير، كلية الآداب، (تلمسان: جامعة أبي بكر بلقايد، 2000م)، ص302. بتصرف

وهنا: تكمن أهمية فهم سياق الآية؛ لفهم معنى الآية ومرادها ولأجل تحقيق ذلك ينبغي دراسة الأساليب البيانية في القرآن الكريم، فهي تعين على فهم معنى الآيات ومرادها.

المطلب الثاني: أثر تكرار مشهد موسى- عليه السلام- مع السحرة في مقصد الهداية:

تكرار هذا المشهد له أثر في مقصد الهداية يتجلى في الآتي:

- في التكرار تذكير للقلوب الغافلة بثبات السحرة على الهدى الذي جاء به موسى- عليه السلام-.
- في التكرار هنا أيضاً إظهار قدوات صالحة وهم سحرة فرعون الذين آمنوا وصمدوا أمام ابتلاء فرعون لهم، حتى صار فعلهم مضرب المثل في قوة الإيمان.
- في تكرار المشهد كذلك بيان حقيقة الدنيا وأنها زائلة، والآخرة هي دار القرار، والدليل على ذلك سرعة استجابة السحرة للإيمان بموسى- عليه السلام-.
- في تكرار المشهد أيضاً بيان قوة جبروت وبطش فرعون وفتنته للسحرة ليصدهم عن الإيمان بموسى- عليه السلام-.

المبحث الثالث: التكرار في مشهد موسى – عليه السلام –مع قومه:

يشتمل البحث على مطلبين:

المطلب الأول: مشهد موسى– عليه السلام مع قومه:

تكرر مشهد موسى– عليه السلام في سياقات مُختلفة، ولكن جميعها تدخل في دعوة موسى– عليه السلام– قومه إلى الهداية وهذه الآيات هي:

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (البقرة: 54) وقوله –تعالى– في سورة المائدة: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ (المائدة:20).

وقوله – عز وجل– في سورة يونس: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾ (يونس:84).

وتكرر قوله – سبحانه– ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ﴾ في سورتي البقرة والمائدة بينما لم يذكر لفظ ﴿لِقَوْمِهِ﴾ في سورة يونس وسبب ذلك قال ابن عاشور –رحمه الله–(ت:1393هـ) : "عطف بقية القصة على أولها فهو عطف على جملة وقال فرعون ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾ (يونس: 79).

وهذا خطاب موسى لجميع قومه وهم بنو إسرائيل الذين بمصر، وهو يدل على أنه خاطبهم بذلك بعد أن دعاهم وآمنوا به. والغرض منه تثبيت الذين آمنوا به في حضرة فرعون على توكلهم، لذلك قال: إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا"[1].

التكرار في سورة البقرة جاء في سياق حث موسى- عليه السلام- قومه على التوبة والرجوع إلى الله وتوحيده. أما التكرار في سورة المائدة فقد جاء في سياق تذكير موسى- عليه السلام- لقومه بنعم الله عليهم بأن جعل فيهم أنبياء وملوكا والرابط بين الآيتين والله أعلم بأن الأنبياء نعمة من الله على عباده لدعوة أقوامهم إلى التوبة من الشرك والكفر والإيمان بالله واتباع طريق الهداية إليه.

والتكرار في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ﴾ فقد جاء في سياق حث موسى- قومه على التوكل على الله والرابط بين هذه الآية والآيات التي قبلها والله أعلم هو أن الله -جل وعلا- أنعم على بني إسرائيل بأن أرسل إليهم نبيه موسى- عليه السلام-يدعوهم إلى الإيمان بالله والتوبة من عبادة غير الله والتوكل على الله حق توكله وهذا يقتضي منهم الإيمان بالله أولاً ثم التوكل عليه بعد ذلك.

---

[1] ابن عاشور: الطاهر، **التحرير والتنوير**، ج11، ص261. بتصرف

المطلب الثاني: أثر تكرار مشهد موسى- عليه السلام مع قومه في مقصد الهداية:

تكرار مشهد دعوة موسى- عليه السلام- قومه إلى الإيمان يتضح لنا أثره في تحقق مقصد الهداية من خلال الآتي:

- الاستفادة من المواقف والأحداث في الدعوة إلى الله، كما فعل موسى- عليه السلام- حين قال: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ﴾ (البقرة: 54). وهذا الأثر يساهم في تحقق مقصد الهداية.
- بيان حرص موسى- عليه السلام- على هداية قومه.
- الاعتبار من بما حل بالمكذبين بموسى- عليه السلام-.
- التذكير بأن الإيمان بالله يقتضي التوكل عليه حق توكله.

الفصل الرابع: الوعي بالسنن الإلهية وأثره في مقصد الهداية

ويشتمل الفصل على سبعة مباحث:

المبحث الأول: الوعي بسنة الاستضعاف وأثره في مقصد الهداية.

المبحث الثاني: الوعي بسنة الاستدراج وأثره في مقصد الهداية.

المبحث الثالث: الوعي بسنة كفر النعمة وأثره في مقصد الهداية.

المبحث الرابع: الوعي بسنة التدافع وأثره في مقصد الهداية.

المبحث الخامس: الوعي بسنة الفتنة والابتلاء وأثره في مقصد الهداية.

المبحث السادس: الوعي بسنة اتباع الحق والإعراض عنه وأثره في مقصد الهداية.

المبحث السابع: الوعي بسنة النصر والتمكين وأثره في مقصد الهداية.

المبحث الأول: الوعي بسنة الاستضعاف وأثره في مقصد الهداية:

في هذا المبحث مطلبين وهما:

المطلب الأول: الوعي بسنة الاستضعاف:

ذكرت سنة الاستضعاف في قصة موسى- عليه السلام- في مطلع الآيات من سورة القصص قال -تعالى-: ﴿ طسم (1) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (2) نَتْلُو عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (3) إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (4) وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (5)﴾ (القصص: 5-1).

ذكر الإمام الطبري (ت: 310هـ)- رحمه الله- في تفسير قوله: "(ونريد) عطف على قوله: (يستضعف طائفة منهم) ومعنى الكلام: أن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها، من بني إسرائيل، فرقاً يستضعف طائفة منهم ونحن (نريد أن نمن على الذين) استضعفهم فرعون من بني إسرائيل (ونجعلهم أئمة)"[1].

ومن خلال تدبر هذه الآيات الكريمة يمكنني القول بأن الاستضعاف ما هو إلا إرهاص من الله لعباده المؤمنين بالتمكين، فهو سنة ربانية وردت في سياق قصة موسى-عليه السلام- في سورة القصص وكأن الله أراد هنا، التذكير بأن الإمامة والخلافة في الأرض مآلها لمن استضعف بسبب دينه وثبت عليه حتى يمكنه الله بهلاك عدوه وخلافته للأرض من بعده.

---

[1] الطبري: **جامع البيان في تأويل آي القرآن**، ج18، ص152.

المطلب الثاني: علاقة الوعي بسنة الاستضعاف وأثره في مقصد الهداية:

الوعي بسنة الاستضعاف له أثر في الهداية فهو يزيد إيمان المؤمن بوعد الله له كما في قوله: تعالى ﴿وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ ولأجل هذا يثبت المؤمن أمام قوة الابتلاء في دينه، ويعلم يقيناً بأن ما أصابه ما هو إلا تمحيص ورفعة له في الدرجات في الدينا والآخرة.

ويؤكد هذا الوعي موقف إيمان سحرة فرعون وثباتهم على دين الله رغم ما تعرضوا له من تعذيب وتنكيل من فرعون وملأه ويصور القرآن هذا المشهد من القصة في قوله: -عز وجل- ﴿قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ (71) قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا ۖ فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (72) إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ ۗ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ (73)﴾ (طه: -71 73).

وهنا: تعرض السحرة للاستضعاف والتعذيب والتنكيل من قِبل فرعون في قوله: -تعالى- : ﴿فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ﴾.

وألاحظ أيضاً الوعي بسنة الاستضعاف وأثره في تثبيت السحرة على الإيمان في قوله: جل وعلا- على لسان السحرة: ﴿ قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا ۖ فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (72) إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ ۗ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾، هذا الموقف يوضح أثر الوعي بسنة الاستضعاف في زيادة الإيمان والثبات على الهداية.

المبحث الثاني: الوعي بسنة الاستدراج وأثره في مقصد الهداية:

في هذا المبحث مطلبان وهما:

المطلب الأول: الآيات الواردة في سنة الاستدراج وأقوال المفسرين فيها:

أولاً: قوله: تعالى ﴿وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ (39) فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ (40)﴾ (القصص: 39-40)

ذكر أهل التفسير أقوالاً عدة في تفسير هذه الآيات، ومن هذه الأقوال:

ما ذكره الإمام الطبري (ت: 310هـ)- رحمه الله- في تفسيره: "﴿وَاسْتَكْبَرَ﴾ فرعون ﴿وَجُنُودُهُ﴾ في أرض مصر عن تصديق موسى واتباعه على ما دعاهم إليه من توحيد الله، والإقرار بالعبودية له بغير الحقّ، يعني تَعدِّيًا وعتوًّا على ربهم ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لا يُرْجَعُونَ﴾ يقول: وحسبوا أنهم بعد مماتهم لا يبعثون، ولا ثواب، ولا عقاب، فركبوا أهواءهم، ولم يعلموا أن الله لهم بالمرصاد، وأنه لهم مجاز على أعمالهم الخبيثة" [1].

فرعون وملؤه استدرجهم الله حتى قال: الله فيهم ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لا يُرْجَعُونَ﴾ ثم جعلهم يسيرون بأقدامهم وبرضى أنفسهم إلى هلاكهم وهم لا يشعرون. والاستدراج يكون مع الغفلة وعمى البصيرة والاستكبار غالباً فيظن الظالم بأن لا أحد يستطيع محاسبته في الدنيا والآخرة من قوة طغيانه وجبروته، وما وقع لفرعون وقومه أوضح مثال على ذلك. والعياذ بالله.

---

[1] الطبري: **جامع البيان في تأويل آي القرآن**، تحقيق: أحمد شاكر، ج19، ص582.

فسرها القرطبي: "﴿وَاسْتَكْبَرَ﴾أَيْ تعظم ﴿هُوَ وَجُنُودُهُ﴾ أي عن الإيمان بموسى. ﴿فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ أي بالعدوان، أي لم تكن له حجة تدفع ما جاء به موسى ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنا لَا يُرْجَعُونَ﴾ أي: توهموا أنه لامعاد ولا بعث" [1].

يتجرأ المعتدي على عدوانه حين يعميه غروره فيتسلط ويظلم وتأخذه العزة بالأثم، فيستكبر عن قبول الحق ويحارب أصحابه إذ أنه لاحجة لديه يدفع بها دعوة الحق، فيلجأ إلى العدوان وصد الناس عن اتباع الحق، وهذا ما فعله فرعون في بني إسرائيل عذبهم وأجبرهم على عبادته والكفر بدعوة موسى– عليه السلام– ولكن الله استدرج فرعون وهو في قمة طغيانه من حيث لا يدري، فظن فرعون بأنه قادر على التخلص من موسى– عليه السلام– واتباعه، فلحق بهم يريد قتلهم ولكن أمر الله كان أسبق وأشد تنكيلاً.

فسر العلامة محمد صديق خان– رحمه الله (ت: ١٣٠٧هـ) ﴿فَانظُرْ﴾ بقوله:" ﴿فانظر﴾ يا محمد – صلى الله عليه وسلم – (كيف كان عاقبة الظالمين)؟ حين صاروا إلى الهلاك" [2].

لابد أن تكون عاقبة الظالمين عِبرة وعظة لكل مُعتبر، وكثيراً ما يذكر الله بعاقبة الظلمة والمفسدين بقوله: ﴿فَانظُرْ﴾ أي: إلى نهايتهم وما صاروا إليه من سوء العاقبة.

---

[1] القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، ج13، ص289.

[2] القنوجي: محمد صديق خان، **فتح البيان في مقاصد القرآن**، ج10، ص122.

وقال: الإمام ابن عطية– رحمه الله– (ت:481هـ) في تفسير قوله –تعالى–: ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾ " وقوم فرعون وإن كانوا ساروا إلى البحر ودخلوه باختيارهم فإن ما ضمهم من القدر السابق السائق هو نبذ الله تعالى إياهم فيه" [1].

لو تأملنا في سنة الاستدراج لوجدنا بأنها تتناسب مع درجة غفلة الظالم وغيه، أي كلما زاد الظالم في ظلمه وغفلته واستكباره كلما كانت نتيجة الاستدراج أشد وقوعاً.

ثانياً: قوله: تعالى ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى (24) فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى (25) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى (26)﴾ (النازعات: 26–24).

قال: ابن كثير– رحمه الله– في قوله: تعالى ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾ أي" انتقم الله منه انتقاماً جعله به عبرة ونكالاً لأمثاله من المتمردين في الدنيا" [2].

الملك يطغي صاحبه إلا من رحم ربي وفرعون أطغاه ملكه حتى ادعى الألوهية والربوبية من دون الله، واستمر في تعظيمه لنفسه والصد عن قبول الحق الذي جاء به موسى– عليه السلام– وتوهم بأن ملكه لن يزول، ولكن الله –جل وعلا– جعل حداً لغرور فرعون فأهلكه بالغرق، وكأن الله يريد أن يجعل من غرق فرعون عِبرة لكل من غرق في نعيم الدنيا فطغى.

---

[1] ابن عطية: الأندلسي، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1422هـ)، ج4 ص289.

[2] ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: محمد حسين شمس الدبن، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط، 1419هـ) ج8، ص317.

وقال: الطاهر بن عاشور "﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى﴾ كان ما ذكر من تكذيبه وعصيانه وكيده سبباً لأن أخذه الله، وهذا هو المقصود من سوق القصة وهو مناط موعظة المشركين وإنذارهم، مع تسلية النبيء – صلى الله عليه وسلم – وتثبيته. وقد استعمل النكال في حقيقته ومجازه ; لأن ما حصل لفرعون في الدنيا هو نكال حقيقي وما يصيبه في الآخرة أطلق عليه النكال ; لأنه يشبه النكال في شدة التعذيب ولا يحصل به نكال يوم القيامة"[1].

ذكر ابن عاشور– رحمه الله– (ت:1393هـ) أربعة مقاصد في تفسير هذه الآية:

- الموعظة للمشركين.
- الإنذار لهم.
- تسلية النبي– عليه الصلاة والسلام–.
- تثبيت النبي – عليه الصلاة والسلام–.

وأضيف مقاصد أخرى للآية:

- الخشية من الله مقصد قرآني عظيم.
- النظر في العواقب والمآلات.
- تذكير القلوب الغافلة عن الله.

---

[1] ابن عاشور: الطاهر، **التحرير والتنوير**، ج30، ص81.

وفسر الشيخ السعدي–رحمه الله– (ت: 1270هـ) الآية بقوله:" فإن من يخشى الله هو الذي ينتفع بالآيات والعبر، فإذا رأى عقوبة فرعون، عرف أن كل من تكبر وعصى، وبارز الملك الأعلى، عاقبه في الدنيا والآخرة"[1].

لا تقع العقوبة على تقي وإنما تقع على كل متكبر جبار كفرعون الذي أعرض عن الآيات والعِبر فاستحق العقوبة الإلهية في الدنيا والآخرة. ويمكن أبين هذا من خلال ذكر صفات فرعون التي اتصف وكانت سبباً في هلاكه. وهي:

- الكِبر.
- الفساد.
- التباهي.
- الجحود.
- الإعراض عن الحق.
- العدوان.

اجتمعت فيه هذه الصفات التي استحق بها إنزال العقوبة الإلهية به هو وقومه بعد إنذارهم واستدراجهم حتى حل بهم العذاب الأليم.

---

[1] السعدي: **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ج1، ص909.

ثالثاً: وقوله: تعالى ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ (الأعراف:103).

ذكر الرازي– رحمه الله– (ت: 606هـ) في تفسيره الآية: فظلموا بها أي فظلموا بالآيات التي جاءتهم لأن الظلم وضع الشيء في غير موضعه، أنهم كفروا بالآيات فوضعوا الإنكار في موضع الإقرار والكفر في موضع الإيمان، وأما قوله: ﴿فَانْظُرْ﴾ أي بعين عقلك كيف فعلنا بهم [1].

العاقل من يضع الأشياء في مواضعها فمن الظلم أن يوضع الشيء في غير موضعه خصوصاً مع وجود العقل، ومن يضع الكفر موضع الإيمان لا شك بأنه قد ظلم نفسه ظلماً استحق به إنزال العقوبة عليه لكفره بالإيمان.

أما رشيد رضا– رحمه الله– فقد فسرها بقوله: "هذه القصة معطوفة على جملة ما قبلها من القصص من قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾ إلى قوله: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ القصة، وقد أعاد في قصة موسى ذكر الإرسال للتفرقة، ولكن بلفظ البعث، وهو أخص وأبلغ من لفظ الإرسال؛ لأنه يفيد معنى الإثارة والإزعاج إلى الشيء المهم" [2].

القصد من بعثة موسى –عليه السلام–دعوة بني إسرائيل وفرعون وقومه إلى الإيمان وهذه الدعوة تستدعي الإثارة والإزعاج إلى الشيء المهم، ولا شيء أهم من إعادة بعث الإيمان الذي طمسه طغيان فرعون في قلوب قوم موسى–عليه السلام– من جديد.

---

[1] الرازي: **مفاتيح الغيب**، ج14، ص325. بتصرف

[2] رشيد رضا: محمد، **تفسير المنار**، ج9، ص34.

وفسر العلامة محمد صديق خان – رحمه الله– (ت: ١٣٠٧هـ) قوله –تعالى–: ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ " أي انظر بعين العقل والبصيرة كيف فعلنا بالمكذبين بالآيات الكافرين بها وكيف أهلكناهم، وجعلهم مفسدين لأن تكذيبهم وكفرهم من أقبح أنواع الفساد"[1].

وحتى يتحقق الاتعاظ والاعتبار لابد من تحقق أمرين اثنين: أشار لهما العلامة محمد صديق خان – رحمه الله– (ت: ١٣٠٧هـ) وهما: **الأول النظر**: ويقصد هنا إعمال العقل في التفكر والتأمل في حال المفسدين كفرعون وملئه وغيرهم. **الأمر الثاني البصيرة**: ويقصد بها يقظة القلب واتعاظه وخوفه من أن يقع في الغفلة التي وقع فيها المُفسدون فأعمت قلوبهم عن اتباع الحق.

---

[1] القنوجي: محمد صديق خان، **فتح البيان في مقاصد القرآن**، ج٤، ص٤٢٢.

المطلب الثاني: أثر الوعي بسنة الاستدراج في مقصد الهداية:

استدرج الله فرعون حتى أهلكه ولو أن فرعون كان يعي بأن عاقبته ستكون وخيمة لاهتدى ولكنه آثر العصيان على الهداية حتى أدركه الغرق، ولقد أخبرنا الله –جل وعلا– بما حصل لفرعون حين أغرقه ليكون لمن خلفه عِبرة فقال: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ (90) آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (91)فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ(92)﴾ (يونس:92–90)

ولوتأملنا قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ لعرفنا بأن الهداية تكون قبل الاستدراج بالعذاب لا أثناء وقوعه فلا فائدة من التوبة حين وقوع العذاب فقد فات أوان الإمهال والتحذير والإنذار وحان وقت العقوبة ونفهم ذلك من قوله تعالى: ﴿آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾.

هذه آيات الله وسننه في أخذ المفسدين والطغاة وتتجلى سنة إهلاك الظالمين في القصة في غرق فرعون وملأه. والوعي بسنة الاستدراج له أثر في مقصد الهداية والدليل على ذلك قوله– تعالى–: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾. فمن يتعظ بما حل بفرعون وملأه لا بد وأن يهتدي –إن شاء الله– فتكون هذه السنة الإلهية بمثابة إيقاظ له من غفلته لقوله –تعالى–: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً﴾ أن الوعي بسنة الاستدراج يتحقق بالتأمل والتفكر في آيات الله في أحوال الغابرين.

المبحث الثالث: الوعي بسنة كفر النعمة وأثره في مقصد الهداية:

يتضمن هذا المبحث مطلبان هما:

المطلب الأول: الوعي بسنة كفر النعمة:

من سمات الطغاة أنهم يبطرون النعمة ولا يشكرون الله عليها بل يتكبرون على الناس ويتفاخرون بها، فينسون بأن تلك النعمة ما هي إلا ابتلاء لهم كما حدث لفرعون ويصور لنا القرآن هذا الحدث في قوله –تعالى–: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (51) أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ (52) فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ (53) فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (54) فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ (55) فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ(56)﴾ (الزخرف: 51–56).

قال ابن كثير– رحمه الله–: يقول تعالى: مُخبراً عن فرعون وتمرده وكفره وعناده، أنه جمع قومه فنادى فيهم مُفتخراً بملك مِصر وتصرفه فيها أليس لي ملك مِصر وهذه الأنهار تجري من تحتي، أفلا تبصرون أي: أفلا ترون ما أنا فيه من العظمة والملك، يقصد موسى– عليه السلام– وأتباعه فقراء ضعفاء [1].

فحين يستغني الإنسان يطغى لقوله –تعالى–:﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ (6) أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ﴾ (العلق: 7–6) فكيف إذا وصل بالغنى أن يكون ملك مصر كما هو الحال مع فرعون الذي كان ملكه سبباً في كفره وعناده وصده عن اتباع موسى– عليه السلام– تصور فرعون بأنه

---

[1] ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**، ج7، ص212. بتصرف

وهو الآمر الناهي والإله المعظم فاستخف قومه فأطاعوه واتبعوا أمره فأضلهم ففسقوا حتى هلك وهلكوا معه. قال –تعالى–عن فرعون: ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى (24) فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾ (النازعات: 25–24).

وقد يصل بطر النعمة بالإنسان إلى درجة ادعاء الألوهية والعياذ بالله. وفرعون مثال على ذلك. يُنعم الله –جل وعلا– على عباده بالنِعم ليشكروه عليها لا ليكفروا بها، وقد يُنعم عليهم ليبتليهم، فأما من شكر عليها زاده من فضله، وأما من كفر بها، حولها الله من نعمة إلى نقمة وكانت وبالاً على صاحبها، كما حدث لفرعون حين تفاخر بملكه فاستخف قومه فأطاعوه، وغضب الله عليهم فانتقم منهم، وجعلهم آية ومثلاً لكل من تسول له نفسه أن يحذو حذوهم في أفعالهم.

كما قال الإمام الزمخشري– رحمه الله–(ت: 538هـ) في تفسير قوله: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ (55) فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ﴾ " فجعلناهم قدوة للآخرين من الكفار، يقتدون بهم في استحقاق مثل عقابهم ونزوله بهم، لإتيانهم بمثل أفعالهم." [1]. أي: أن الله – جل وعلا– جعلهم عظة وعِبرة لغيرهم، حتى لا يحذون حذوهم– والله أعلم–.

المطلب الثاني: أثر الوعي بسنة كفر النعمة في مقصد الهداية:

كثيراً ما نسمع في مجالسنا قصصاً حكايات عن زوال النعمة من أصحابها، وقد قص علينا القرآن الكريم قصة فرعون في هذا الشأن، وكيف زالت عنه النعمة؟ ونسمع أيضاً بعد سماع هذه القصص من يقول: اللهم أدم علينا النعمة واحفظها من الزوال النعمة زائلة.

---

[1] الزمخشري: **الكشاف عن حقائق وغوامض التنزيل**، ج4، ص، 559.

وهذا الوعي يدل على فهم أن سنة بطر النعمة لها أثر في تحقق مقصد الهداية من حيث العِظة والاعِتبار ومن حيث العلم بأن المُنعم هو الله وحده يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء. فيستشعر المرء فضل الله عليه ويدرك بأن هذه النعم التي في يده فضل من الله عليه، فيحمده عليها ويجعلها وسيلة له في نيل رضى الله عنه، وبذلك يهتدي بها إلى رضى الله عنه.

ولو تأملنا في المقابل حال من بطر النعمة كفرعون مثلاً لأدركنا بأن النعمة ماهي إلا ابتلاء، إما أن تشكر وإما أن تبطر فإن شكرت زادت، وإن كفرت زالت كما حدث لفرعون وقارون حين بطروا النعمة فكانت نقمة عليهم.

المبحث الرابع: الوعي بسنة التدافع وأثره في مقصد الهداية:

يشتمل المبحث على مطلبين هما:

المطلب الأول: الآيات الواردة في سنة التدافع وأقوال المفسرين فيها:

أولاً: قوله- تبارك وتعالى-: ﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا ۖ إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (128) قَالُوا أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ(129)﴾ (الأعراف:129-128)

قال ابن كثير- رحمه الله-:"وهكذا عومل[1] في صنيعه أيضا لما أراد إذلال بني إسرائيل وقهرهم فجاء الأمر على خلاف ما أراد: أعزهم الله وأذله وأرغم أنفه وأغرقه وجنوده"[2].

بسبب تسلط فرعون على بني إسرائيل وإذلالهم وقهرهم غاب عن ذهنه بأن الإله الذي يؤمن به بنو إسرائيل قادر على أن يهلكه هو وجنوده ويورث الأرض عباده المتقين الذين آمنوا بموسى- عليه السلام- وصدقوا بما جاء به من الهدى واستعانوا بربهم وصبروا على البلاء وواجهوا فرعون بثباتهم على الدين الحق مهما لحقهم من أذى من فرعون وملئه.

لذلك كان التأييد الإلهي لعباده المؤمنين قوياً حين أهلك الله فرعون وجنوده بالغرق. فأعز الله عباده المؤمنين الصابرين من بني إسرائيل وأذل عدوهم أمام أعينهم؛ ليوقنوا بوعد الله لهم.

---

[1] عومل: يقصد بهذه الكلمة فرعون.

[2] ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**، ج3، ص 413.

وفسرها محمد رشيد رضا بقوله: اطلبوا معونة الله تعالى، وتأييده لكم على ما سمعتم من الوعيد واصبروا، ولا تجزعوا، فإن الأرض التي وعدكم الله إياها لله يورثها من يشاء من عباده لا لفرعون، فهي بحسب السنة الإلهية دُول، والعاقبة التي ينتهي بها التنازع للمتقين [1]

التدافع بين الحق والباطل والهدى والضلال سنة ربانية تتداول عبر الزمن ولكن تكون العاقبة للمتقين في نهاية المطاف، فقد يغلب الباطل الحق وقد يظهر الكفر على الإيمان في زمن من الأزمنة ولكن ينتهي التنازع إلى غلبة الحق ونصرة الدين.

ثانياً: قوله– جل وعلا–: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ (21) قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ (22)﴾ (المائدة: 22–21).

قال الشيخ سيد قطب – رحمه الله– (ت: 1966م): هذا الدرس كله في استعراض مواقف أهل الكتاب من مواثيقهم؛ واستعراض ما حل بهم من العقاب نتيجة نقضهم لهذه المواثيق، ليكشف الله عن سنته التي لا تتخلف ولا تحابي أحداً [2].

يمكن للمرء فهم سنة التدافع من خلال فهم حقيقة الصراع بين الحق والباطل، وبين الإيمان والكفر، فالله– سبحانه وتعالى– يبين لنا ذلك من خلال فهم موقف أهل الكتاب من مواثيقهم ونتيجة نقضهم لها، بأن استحقوا العقاب الإلهي الذي يصيب كل من نقض ما عاهد الله عليه.

---

[1] رشيد رضا: محمد، **تفسير المنار**، ج9، ص71. بتصرف

[2] قطب: سيد، **في ظلال القرآن**، ج6، ص856. بتصرف

المطلب الثاني: أثر الوعي بسنة التدافع في مقصد الهداية:

الوعي بسنة التدافع بين الحق والباطل والكفر والإيمان يزيد من يقين المؤمن بأن مآل الأمور وعاقبتها لأهل الحق والإيمان، فيتمسك بالهداية ويثبت على إيمانه حتى يجيء أمر الله.

قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (40)﴾ (الحج: ٤٠)

ولو نُظر من جانب آخر حول أثر الوعي بسنة التدافع في مقصد الهداية، أن أهل الكفر لو علموا بأنهم على باطل وأن نهاية التنازع بينهم لأهل الإيمان لاهتدوا بإذن الله.

ولا يزال التدافع بين الحق والباطل، والكفر والإيمان إلى قيام الساعة، وينبغي للمؤمن أن يعي هذه السنة حتى يثبت على دينه.

المبحث الخامس: الوعي بسنة الفتنة والابتلاء وأثره في مقصد الهداية:

يتضمن المبحث مطلبين هما:

المطلب الأول: الآيات الواردة في سنة الفتنة والابتلاء وأقوال المفسرين فيها:

أولاً: قوله: تعالى ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَٰنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾ (طه: 90).

قال النسفي– رحمه الله– (ت: ٧١٠هـ) : "﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ﴾ لمن عبدوا العجل ﴿هارون مِن قَبْلُ﴾ من قبل رجوع موسى إليهم ﴿يا قوم إِنَّمَا فُتِنتُمْ بِهِ﴾ ابتليتم بالعجل فلا تعبدوه ﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرحمن﴾ لا العجل (فاتبعونى)كونوا على ديني الذي هو الحق ﴿وَأَطِيعُواْ أَمْرِى﴾ في ترك عبادة العجل"[1].

هناك فرق بين الفتنة والابتلاء، بمعنى: الفتنة تكون في الماديات والمعنويات والمعتقدات، أما الابتلاء فقد يكون في الخير والشر حيث وقوعه على الأفراد فقد يصيب الابتلاء أفراداً مُعينين أو جماعة مُعينه ولا يصيب غيرهم، قال تعالى: ﴿ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ (35)﴾ (الأنبياء: ٣٥) وقوله أيضاً: ﴿ فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (15) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ (16)﴾ (الفجر: ١٥،١٦) بعكس الفتنة فإن جميع الناس معرضون لها بغض النظر عن نوعها وحجمها ومن افتتن بها.

---

[1] النسفي: أبو البركات عبد الله بن أحمد حافظ الدين، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، تحقيق: يوسف علي بديوي (بيروت: دار الكلم الطيب، ط1، 1419هـ/1998م) ج2، ص379.

وهنا نلاحظ بأن قوم موسى–عليه السلام– كانت فتنتهم في دينهم يدخل معهم في فتنة الدين كل الأمم السابقة التي كذبت بالرسل، وابتلوا أيضاً بعبادة العجل وهو ابتلاء خاصاً بهم فلم يعبد أحد من الأقوام السابقة العجل غيرهم، وبذلك يكونوا قد جمعوا بين الأمرين. والفتنة والابتلاء من سنن الله تعالى في خلقه.

وقال ابن عاشور– رحمه الله– (ت:1393هـ) : رتب هارون – عليه السلام– خطابه إلى قومه على النحو الآتي:

- ابتدأه بزجرهم عن الباطل وعن عبادة ما ليس برب.
- دعاهم إلى معرفة الرب الحق.
- دعاهم إلى اتباع الرسول إذ كان رسولاً بينهم.
- دعاهم إلى العمل بالشرائع.

ولكنهم أصروا على عبادتهم العجل ولم يصغوا لخطاب هارون –عليه السلام– [1].

وفسر العلامة محمد صديق خان– رحمه الله– (ت:١٣٠٧هـ) الآية ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ﴾ بقوله: اللام هي للقسم، وجملة مؤكدة لما تضمنته الجملة التي قبلها من الإنكار عليهم والتوبيخ لهم، وأما قوله –تعالى–: ﴿يا قوم إِنَّمَا فُتِنتُمْ بِهِ﴾ أي وقعتم في الفتنة بسبب العجل وابتليتم به وضللتم عن طريق الحق لأجله. قيل ومعنى القصر المستفاد من إنما هو أن العجل صار سببا لفتنتهم لا لرشادهم، وليس معناه أنهم فتنوا بالعجل لا بغيره. [2].

---

[1] ابن عاشور: الطاهر، **التحرير والتنوير**، ج16، ص290. بتصرف

[2] القنوجي: محمد صديق خان ، **فتح البيان في مقاصد القرآن**، ج8، ص،٢٦٧،٢٦٨. بتصرف

ثانياً: قال –تعالى–: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ (84) فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (85) وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (86)﴾ (يونس: 86–84).

قال ابن كثير– رحمه الله–: وقد امتثل بنوا إسرائيل ذلك فقالوا: ﴿عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنا رَبَّنا لَا تَجْعَلْنا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ أي: لا تُظفرهم بنا وتسلطهم علينا فيظنوا أنهم على حق ونحن على باطل فيفتنوا بذلك [1]. وقال الإمام الزمخشري– رحمه الله– (ت: 538هـ) أيضاً: " موضع فتنة لهم، أى: عذاب يعذبوننا ويفتنوننا عن ديننا. أو فتنة لهم يفتتنون بنا" [2].

الفتنة هنا لها حالتان:

الحالة الأولى: قد تكون فتنة من حيث تعذيب لصد المؤمنين عن دينهم.

الحالة الثانية: قد تكون فتنة من حيث تقديس الأولياء وعبادتهم من دون الله.

وكلا الحالتين: تُعد فتنة في الدين.

ثالثاً: قوله– عز وجل–: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ (إبراهيم:6).

قال الرازي –رحمه الله– (ت: 606هـ): " أنه يعبر بالأيام عن الوقائع العظيمة التي وقعت فيها. يقال: فلان عالم بأيام العرب ويريد وقائعها وفي المثل من ير يوما ير له معناه من رؤي

---

(1) ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**، ج4، ص251. بتصرف

(2) الزمخشري: **الكشاف عن حقائق وغوامض التنزيل**، ج2، ص364.

في يوم مسرورا بمصرع غيره ير في يوم آخر حزينا بمصرع نفسه وقال تعالى: وتلك الأيام نداولها بين الناس. إذا عرفت هذا، فالمعنى عظهم بالترغيب والترهيب والوعد والوعيد، فالترغيب والوعد أن يذكرهم ما أنعم الله عليهم وعلى من قبلهم ممن آمن بالرسل في سائر ما سلف من الأيام، والترهيب والوعيد: أن يذكرهم بأس الله وعذابه وانتقامه ممن كذب الرسل ممن سلف من الأمم فيما سلف من الأيام، مثل ما نزل بعاد وثمود وغيرهم من العذاب، ليرغبوا في الوعد فيصدقوا ويحذروا من الوعيد فيتركوا التكذيب" [1].

---

[1] الرازي: **مفاتيح الغيب**، ج19، ص65. بتصرف

أشار الرازي– رحمه الله– (ت: 606هـ) في كلامه إلى معنيين لهم علاقة بأمر الله لموسى – عليه السلام– وهما: **المعنى الأول:** الترغيب والوعد بنعم الله على بني إسرائيل.

المعنى الثاني: الترهيب والوعيد من بأس الله وعذابه، إن كذبوا برسوله كما كذب الذين من قبلهم.

ويمكنني هنا أن أضيف **معنىً ثالثاً:** تجلي العناية الإلهية لبني إسرائيل في مرحلة الابتلاء والاستضعاف. ذكر الشيخ سيد قطب –رحمه الله– (ت: 1966م) في تفسير قوله تعالى: ﴿وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ "بلاء بالعذاب أولاً، لامتحان الصبر والتماسك والمقاومة والعزم على الخلاص والعمل له. وبلاء بالنجاة ثانياً لامتحان الشكر، والاعتراف بنعمة الله، والاستقامة على الهدى في مقابل النجاة"[1].

وهذا الابتلاء الذي تعرض له بنو إسرائيل ما هو إلا سنة إلهية لتمحيص إيمانهم، وما الفتنة التي أصابتهم إلا امتحان لثباتهم على الحق. وما النعمة التي أنعم الله بها عليهم إلا تذكير بفضل الله عليهم، ومع ذلك لم يعوا أن ما حدث لهم سنة ربانية تثبت من آمن على إيمانه حتى لا تزيغ قلوب الذين آمنوا من تسلط الظالمين عليهم.

---

[1] قطب: سيد، **في ظلال القرآن**، ج13، ص 2088. بتصرف

المطلب الثاني: أثر الوعي في سنة الفتنة والابتلاء بمقصد الهداية:

الوعي بسنة الفتنة والابتلاء ما هو إلا نتيجة للعلم بحقائق الأمور والتفكر في عواقبها، فمن يعرف حقيقة الفتنة لا تؤثر فيه، لأنه يعيها فلا ينجر لها بعكس من يجهلها. وهنا نلاحظ عدم وعي بني إسرائيل بهذه السنة الإلهية فلم ينتفعوا بمقصدها وهو الهداية. ولكن ما جرى لهم من فتنة وابتلاء قد يزيد من وعي الذين آمنوا من بعدهم بمقصدها فيصبروا على الابتلاء ويثبتوا في الفتنة.

ويتجلى مقصد الوعي بسنة الفتنة والابتلاء في قصة موسى – عليه السلام– مع قومه فيما يلي:

- تعلق القلوب المؤمنة بالله وانتظار الفرج منه –سبحانه–بزوال الفتنة ورفع الابتلاء عنهم.
- التفكر في عواقب الأمور وأخذ العبرة من أحوال السابقين يساعد على سرعة الاستجابة إلى أمر الله واتباع هديه – جل وعلا–.
- الفهم والإدراك لهذه السنة يوضح لمن آمن بأن اتباع الحق، لابد له من فتنة وابتلاء وتمحيص حتى يتميز المؤمن الصادق من غيره.
- لا يصبر على البلاء بقلب راضٍ ولا يثبت حين الفتنة إلا مؤمن أيقن بنصر الله وتمكينه.

المبحث السادس: الوعي بسنة اتباع الحق والإعراض عنه وأثره في مقصد الهداية:

يشتمل هذا المبحث على مطلبين:

المطلب الأول: الآيات الواردة في سنة اتباع الحق والإعراض عنه وأقوال المفسرين فيها:

أولاً: قوله–سبحانه–: ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ (13) وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ(14)﴾ (النمل: 14–13).

قال ابن جزي– رحمه الله–: "أي ظاهرة واضحة الدلالة، وأسند الإبصار لها مجازاً، وهو في الحقيقة لمتأملها وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ يعني أنهم جحدوا بها مع أنهم تيقنوا أنها الحق فكفرهم عناد"[1].

لم يتبعوا الحق بل أعرضوا عنه فأصابتهم سنة إلهية فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر، بعدما أقيمت عليهم الحجة بالآيات المُبصرة التي جحدوها وكذبوا بها وهم مستيقنون بأنها الحق ولكنهم ظلموا أنفسهم بكفرهم فاستحقوا العقوبة من الله وصاروا آية عبرة لمن جاء بعدهم، وهو مثال يذكر إلى يوم القيامة على سوء عاقبة المفسدين.

---

[1] ابن جزي: أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله،، **التسهيل لعلوم التنزيل**، تحقيق: عبد الله الخالدي، (بيروت: دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط1، 1416هـ)، ج2، ص99.

أما ابن كثير –رحمه الله– فسر الآية بقوله: "يقول تعالى لرسوله محمد –صلى الله عليه وسلم– مذكراً له ما كان من أمر موسى– عليه السلام–كيف اصطفاه الله وكلمه وناجاه وأعطاه من الآيات العظيمة الباهرة والأدلة القاهرة، وابتعثه إلى فرعون وملئه، فجحدوا بها وكفروا واستكبروا عن اتباعه والانقياد له"[1].

حفظ الله موسى – عليه السلام– واتباعه من العذاب الأليم الذي أصاب به فرعون وملئه وأنجاهم من الهلاك الذي أحاق بعدوهم.

قال المراغي– رحمه الله– في تفسير قوله– جل وعلا–: ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ " أي فانظر أيها الرسول ما آل إليه أمر فرعون وقومه من الإغراق على الوجه الذي فيه العبرة للظالمين، ومن إخراجهم من الجنات والعيون والزروع والمقام الكريم. وفى هذا تحذير للمكذبين بمحمد صلى الله عليه وسلم الجاحدين لما جاء به من عند ربه، أن يصيبهم مثل ما أصاب أولئك"[2].

ومن دواعي الوعي بهذه السنة التعرف على ما آل إليه أمر المفسدين كأمثال فرعون وجنوده فقد أخرجهم الله من الجنات والعيون والمقام الكريم وسلبهم الله هذه النعم لأنهم كفروا بها وجحدوا بآيات الله، وأورثها بني إسرائيل.

ثانياً: يصف الله إعراض فرعون عن اتباع الهدى الذي جاء به موسى–عليه السلام– في قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن

---

[1] ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**، ج6، ص162.

[2] المراغي: أحمد بن مصطفى، **تفسير المراغي**، (القاهرة: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط1، 1365هـ/1946م)، ج19، ص125.

تَحْتِي ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (51) أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ (52) فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ (53) فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (54) فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ (55) فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ(56)﴾ (الزخرف:56-51).

قال الإمام ابن عطية – رحمه الله- (ت:481هـ) في تفسير قوله: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ﴾ "سلفاً: بفتح السين واللام جمع سالف، كحارس وحرس. والسلف: هو الفارط من الأمم المتقدمة، أي جعلناهم متقدمين للأمم الكافرة عظة ومثلا لهم يعتبرون بهم، أو يقعون فيما وقعوا فيه، من هذه اللفظة قول النبي عليه السلام: «يذهب الصالحون أسلافا» ، وقوله في ولده إبراهيم: «ندفنه عند سلفنا الصالح عثمان بن مظعون»" [1].

الوعي بالسنة الإلهية لا يتحقق إلا بأخذ العظة والعبرة منها وفهم مقصدها، ومن لم تنفعه المواعظ والعِبر سيعرض عن الهدى وهذا ما حصل مع فرعون وجنوده فهم لم يعوا سنة الله فيمن أفسد في الأرض وأعرض عن هداه.

قال ابن عاشور- رحمه الله- (ت:1393هـ) في تفسير هذه الآيات: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ﴾ "أي: استخف عقولهم فأسرعوا إلى تصديق ما قاله. وأما قوله: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾

الأسف الغضب المشوب بالحزن والكدر، وأطلق على فرعون وقومه لأنه فعل يترتب عليه انتقام الله منهم لأنهم عصوا رسوله وصمموا على الشرك بعد ظهور آيات صدق موسى- عليه

---

[1] ابن عطية: **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ج5، ص60.

السلام– وفي تفسير الآية ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ﴾ قال: جعلناهم للآخرين حديثاً يتحدثون به ويعظهم به محدثهم [1].

قال الشيخ السعدي– رحمه الله– (ت: 1270هـ): في قوله تعالى: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ﴾ أي: استخف عقولهم بما أبدى لهم من هذه الشبه. فأي دليل يدل على أن فرعون محق، لكون ملك مصر له، وأنهاره تجري من تحته؟ وأي دليل يدل على بطلان ما جاء به موسى لقلة أتباعه، وثقل لسانه، ولكنه لقي ملأ لا معقول عندهم، فمهما قال اتبعوه [2].

ويبدو أن قوم فرعون أطاعوه لا لأنه حكيم ورأيه سديد، بل لأنهم يخشون بطشه بهم، سلموا عقولهم له فاستخف بهم بشبهات يدعي وجودها فصدقوه وكذبوا موسى– عليه السلام– ولم يفكروا فيما دعاهم إليه –عليه السلام– لأن القول الفصل عندهم ما قال فرعون.

ثالثاً: قوله – تبارك وتعالى–: ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ (30) مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ (31) وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ (32) يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (33)﴾ (غافر:30–33).

الإمام قال الزمخشري– رحمه الله– (ت: 538هـ) :"مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزابِ مثل أيامهم، لأنه لما أضافه إلى الأحزاب وفسرهم بقوم نوح وعاد وثمود"[3].

---

[1] ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، ج25، ص233، 235.بتصرف

[2] السعدي: **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ج1، ص767. بتصرف

[3] الزمخشري: **الكشاف عن حقائق وغوامض التنزيل**، ج4، ص164.

ضرب المثال على عاقبة من خالف مسار السنة الإلهية فيمن اتبع الهدى ومن أعرض منه في ذكرى للغافلين باتباع ما جاءهم من الهدى وتحذير للمعرضين بأن ما حل بمن قبلهم سيحل بهم من عاقبة.

رابعاً: قوله- سبحانه- ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا (15) فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا (15)﴾ (المزمل: 16-15).

قال العلامة صديق خان- رحمه الله- (ت:١٣٠٧هـ): "الخطاب لأهل مكة أو لكفار قريش أو لجميع الكفار والمعنى يشهد عليكم يوم القيامة بأعمالكم. ﴿عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾ يعني موسى ﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ﴾ الذي أرسلناه إليه وكذبه ولم يؤمن بما جاء به، والمعنى إنا أرسلنا إليكم رسولاً فعصيتموه كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً فعصاه. ﴿فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾ أي شديداً ثقيلاً غليظاً"[1]. فمن لم يتعظ بغيره استحق العقوبة.

قال ابن عاشور- رحمه الله- (ت:1393هـ): والمقصود من هذا الخبر التعريض بالتهديد أن يصيبهم مثل ما أصاب أمثالهم ممن كذبوا الرسل فهو مثل مضروب للمشركين. واختير لهم ضرب المثل بفرعون مع موسى- عليه السلام لأنه يجمع بين حال أهل مكة وحال فرعون وقومه وسبب الإعراض عن دعوة الرسول هو عبادة غير الله وما يملأ نفوسهم من التكبر والتعاظم على رسولهم [2].

---

[1] صديق خان: محمد، **فتح البيان في مقاصد القرآن**، ج14، ص390،389. بتصرف

[2] ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، ج29، ص272، 273. بتصرف

أن التهديد والإنذار علامة على قرب وقوع السنة الإلهية، فإن اهتدوا قبل وقوعها، نجوا وإن هم أصروا على ضلالهم أصابتهم سنة الله فيهم بلا شك.

المطلب الثاني: أثر الوعي بسنة اتباع الحق والإعراض عنه بمقصد الهداية:

الوعي بحقيقة الشيء يساعد على التمييز بين الأضداد والاختلافات بين الأشياء سواء كان هذا التمييز في الأشياء المادية أو المعنوية، ولكن ما يعنينا هنا الوعي المتعلق بالجانب المعنوي كاتباع الهدى والإعراض عنه وسنة الله فيهما وأثر هذا الوعي في مقصد الهداية.

ومن آثار هذا الوعي في مقصد الهداية:

- الرغبة في اتباع الهدى والنجاة من ظلمات الضلال.
- الرهبة من الإعراض عن الهدى خشية العقوبة.
- التمييز بين الحق والباطل ومعرفة مآلات كل منهما.
- التقرب إلى الله بطاعته وعدم عصيانه.
- الدعوة إلى الهدى والتحذير من الضلال وعاقبته.
- الثبات على الحق والبعد عن الفتنة وضلالها.

المبحث السابع: الوعي بسنة النصر والتمكين وأثره في مقصد الهداية:

يتضمن المبحث مطلبين هما:

المطلب الأول: الآيات الواردة بسنة النصر والتمكين وأقوال المفسرين فيها:

السنة الإلهية المتعلقة بالنصر والتمكين تتضح في قصة موسى- عليه السلام- مع قومه في مواجهة فرعون وجنوده ومن الآيات الدالة على ذلك:

أولاً: قال-عز وجل-: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا ۖ إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (128) قَالُوا أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ (129)﴾ (الأعراف: 128-129).

قال ابن كثير – رحمه الله-: قال موسى- عليه السلام-: لقومه استعينوا بالله واصبروا ووعدهم بأن الدار ستصير لهم وأن العاقبة للمتقين فقالوا له: أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا، فقال لهم: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ وهذا تخصيص لهم على الشكر عند حلول النعمة وزوال النقمة [1].

ولكي تتحقق سنة النصر والتمكين لابد من تحقق أمرين هما:

- الاستعانة بالله والتجرد الكامل عن التعلق بالأشخاص والأسباب المؤدية إلى النصر والتمكين

---

[1] ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**، ج3، ص414. بتصرف

- الصبر على أذى عدوهم حتى يأتي نصر الله لهم.

وقوله ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ﴾ وكأن موسى- عليه السلام- يذكرهم بأن النصر قد يحصل وقد لا يحصل بقوله "عسى " وفيها إشارة إلى أن " عسى" تحققها مرتبط ب تحقق الاستعانة بالله مع الصبر على الأذى في سبيله.

الإمام قال الزمخشري- رحمه الله- (ت: 538هـ): "﴿عَسى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ﴾ تصريح بما رمز إليه من البشارة قبل. وكشف عنه، وهو إهلاك فرعون واستخلافهم بعده في أرض مصر" [1].في قوله: (عسى) رفع لمعنويات بني إسرائيل وبث الأمل في نفوسهم على نصرهم على عدوهم وتمكينهم في الأرض باستخلافهم فيها. والاستخلاف يسبقه زوال غالباً وهو المقصود في هذه الآية –والله أعلم–.

قال محمد رشيد رضا: وقد عبر بـ " عسى" ولم يقطع بالوعد لئلا يتكلوا ويتركوا ما يجب من العمل، أو لئلا يكذبوه لضعف أنفسهم بما طال عليهم من ذل لفرعون واستعظامهم لملكه وقوته [2].

ولتحقق النصر على العدو والتمكين في الأرض لابد من روح معنوية عالية وقلوب مُعلقة بالله والأخذ بأسباب النصر من عدة وعتاد، إذا أنه لا يتحقق النصر من الروح المعنوية العالية فقط دون اجتهاد في الأخذ بأسباب النصر المادية، وقوله: ﴿عسى) تدل على هذا المعنى كما قصد العلامة: محمد رشيد رضا في تفسير قوله: ﴿عَسى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ﴾ الآية.

---

[1] الزمخشري: **الكشاف عن حقائق وغوامض التنزيل** ج2، ص،144.

[2] رشيد رضا: محمد، **تفسير المنار**، ج9، ص72. بتصرف

ثانياً: وقوله تعالى: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ (90) آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (91) فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ(92)﴾ (يونس: 92-90).

وهنا نجد سنة النصر والتمكين لبني إسرائيل واضحة في هلاك فرعون وجنوده كما بينت الآيات كيفية هلاكه بالإغراق وجعله آية لمن خلفه، حتى لا يظن ظان بأن فرعون لا يُقهر فها هو لم يستطع إنقاذ نفسه من الموت فأين جبروته وألوهيته؟! لم يرد عنه جبروته العقوبة، ولم تمنع ألوهيته عنه الغرق.

ومن خلال تدبر هذا المشهد من القصة يمكنني أن أستخلص منه الآتي:

1. من صور نصر وتمكين الله لموسى- عليه السلام- وقومه إهلاكه لعدوهم أمام أعينهم.

2. لا يتعظ بالسنة الإلهية غافل عنها، فكثير من الناس لا يتعظون بما حل بفرعون، لذا نجدهم يستمرون في ظلمهم وطغيانهم وذلك لأنهم لا يدركون القصد من السنة الإلهية.

3. الإيمان بالله ورسوله يحفظ المؤمن من سوء العاقبة في الدنيا والآخرة.

4. سوء عاقبة المفسدين سنة إلهية يتجلى فيها العدل الإلهي بتمكين المستضعفين من الذين آمنوا في الأرض.

ثالثاً: ومن تمكين الله لبني إسرائيل ونصرهم على عدوهم قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ (يونس: 93).

وللمفسرين في تفسير هذه الآية أقوال منها:

- قول الإمام الطبري (ت: 310هـ)- رحمه- الله-: " ولقد أنزلنا بني إسرائيل منازل صدق. قيل عنى بذلك الشام وبيت المقدس. وقيل عنى به الشام ومِصر"[1].

أياً كان المقصود بمبوأ الصدق فما يهمنا هنا تمكين الله لهم في الأرض بعد أن كانوا مستضعفين

- قول الإمام الألوسي- رحمه الله- (ت: 1270هـ): " أنزلناهم بعد أن أنجيناهم وأهلكنا أعداءهم مُبَوَّأَ صِدْقٍ أي منزلاً صالحاً مرضياً"[2]

- قول الشيخ السعدي – رحمه الله- (ت: 1270هـ): " أنزلهم الله وأسكنهم في مساكن آل فرعون، وأورثهم أرضهم وديارهم"[3]. بعض النظر عن مكان تمكين الله لبني إسرائيل في أي أرض كانت القصد هنا -والله أعلم- رفع شأنهم وأنزلهم منزلاً مباركاً صالحاً مرضياً.

المطلب الثاني: أثر الوعي بسنة النصر والتمكين في مقصد الهداية:

1. **الأخذ بأسباب النصر المادية والمعنوية معاً:** ومما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (يونس: 87).

---

(1) الطبري: **جامع البيان في تأويل آي القرآن**، ج12، ص 283.

(2) الألوسي: **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ج6، ص177.

(3) السعدي: **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ج1، ص373.

وهذه الآية تشير إلى سبب من أسباب النصر وهو التضرع إلى الله بالدعاء والعبادة والتوكل عليه في نصرهم على فرعون وملئه. وأما قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾ (الشعراء: 52). فيدل على السبب المادي للنصر – والله أعلم–.

2. **الصبر على مواجهة العدو حتى يأتي نصر الله:** ويتضح لنا ذلك في قوله تعالى: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا ۖ إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (128) قَالُوا أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ(129)﴾ (الأعراف:129–128) هذه الآيات تدل على أن الاستعانة بالله مع الصبر سبب من أسباب التمكين في الأرض.

3. **اليقين بأن النصر والتمكين من عند الله وحده:** ويدل على هذا الأثر قوله – تعالى–: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ (84) فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (85) وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (86)﴾ (يونس: 86–84) أي: توكلوا على الله موقنين بنصره.

4. **شكر الله على النعمة على النصر والتمكين:** ونجد هذا الأثر في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ (إبراهيم: 6) الآية تدل على أن شكر النعمة سبب دوامها.

الفصل الخامس: موانع الهداية في قصة موسى – عليه السلام–

ويشتمل الفصل على مبحثين:

المبحث الأول: موانع داخلية في النفس البشرية.

المبحث الثاني: موانع خارجية في البيئة المجتمعية.

المبحث الأول: موانع داخلية في النفس البشرية:

موانع الهداية في قصة موسى – عليه السلام– في القرآن منها ما يتعلق بالنفس البشرية من الداخل، ومنها ما يتعلق بالبيئة المجتمعية وفي هذا المبحث سأوضح الموانع الداخلية في النفس البشرية عدة مطالب، وهي:

المطلب الأول: الكبر والغرور:

بلغ الكبر والغرور بفرعون إلى حد ادعائه الألوهية وهذا يتضح في قوله تعالى: على لسان فرعون: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ (القصص: 38).

قال: الإمام الطبري (ت: 310هـ)–رحمه الله–: افتخر بملكه مصر عدو الله وحسب أن الذي هو فيه من ذلك ناله بيده وحوله وأن موسى –عليه السلام– لم يصل إلى ما وصل إليه، ولو كان محقاً فيما يأتي به من الآيات لاكتسب لنفسه من الملك والنعمة مثل الذي هو فيه من ذلك جهلاً بالله منه واغتراراً بما عنده [1].

كما في قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (51) أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ (52) فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ (53)﴾ (الزخرف:53–51)

---

[1] الطبري: **جامع البيان في تأويل آي القرآن**، تحقيق: عبدالله عبدالمحسن التركي، ج20، ص611. بتصرف.

الكِبر والغرور من موانع الهداية التي صدت فرعون عن الإيمان بدعوة موسى– عليه السلام– فقد اعتقد بأن ملكه لن يزول، فأزاله الله هو وملكه، وهذا يدل على سوء العاقبة –والعياذ بالله–.

قال الإمام ابن عطية –رحمه الله– (ت:481هـ) في تفسيره للآية: ومعنى هذه الحجة التي نادى بها أنه أراد أن يبين فضله على موسى، إذ هو ملك مصر، وصاحب الأنهار والنعم قال: فلو أن إله موسى يكون حقاً كما يزعم، لما ترك الأمر هكذا [1]. وكلما زاد مال الشخص وعلت مكانته زاد طغيانه، إلا من رحم ربي، وتستوقفني هنا في هذا الآية الكريمة وقفات وهي:

- الكِبر والغرور يدفع بصاحبه للمجاهرة بالمعصية أمام الناس.
- الحق قوته في كونه حقاً لا يستمد قوته بعامل خارجي كسلطة أو مال أو شخص.
- ضعف حجة فرعون لأنه لم يقدم دليلاً عقلياً يثبت أنه على حق.
- السخرية والاستهزاء بالآخرين تصرفات تصدر ممن اغتر بنفسه وتكبر على الناس.
- لا يهتدي إلى الحق من آثر دنياه على قبول الحق.
- النِعم ليست دليلاً على أن صاحبها على حق فقد تكون عوناً له على الباطل.

قال الرازي –رحمه الله– (ت: 606هـ) : " أورد فرعون عليه هذه الشبهة التي ذكرها كفار قريش فقال: إني غني كثير المال والجاه، ألا ترون أنه حصل لي ملك مِصر وهذه الأنهار تجري

---

[1] ابن عطية: **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ج5، ص59.بتصرف

من تحتي، وأما موسى فإنه فقير مهين ليس له بيان ولسان، والرجل الفقير كيف يكون رسولاً من عند الله إلى الملك الكبير الغني"[1]. من لا يجد حجة تثبت صحة دعواه، يتعمد إثارة الشبهات للتلبيس على الناس.

المطلب الثاني: الخوف:

الخوف على زوال المال والجاه قد يمنع الإنسان من اتباع الهدى الذي جاء به رسل الله، وهذا ما حدث في موقف فرعون من دعوة موسى- عليه السلام- قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ ۖ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ (غافر: 26)

يقول الزمخشري- رحمه الله- (ت: 538هـ): " ﴿وَلْيَدْعُ رَبَّهُ﴾ شاهد صدق على فرط خوفه منه ومن دعوته ربه، وكان قوله: ﴿ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسى﴾ تمويهاً على قومه، وإيهاما أنهم هم الذين يكفونه، وما كان يكفه إلا ما في نفسه من هول الفزع"[2].

خاف فرعون على ذهاب ملكه فلجأ إلى حيلة نفسية تخفي خوفه من موسى- عليه السلام- وتظهره بمظهر القوة والمصلح الذي يخشى على قومه من ضياع دينهم باتباعهم الدين الجديد الذي جاء به موسى- عليه السلام- وهذا يتضح في قوله: ﴿ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ﴾

وقوله: ﴿إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾ هذه الحيلة النفسية ماهي في حقيقة الأمر إلا لخوفه على ملكه من الزوال، وألوهيته من الكفر بها.

---

[1] الرازي: **مفاتيح الغيب**، ج27، ص636.

[2] الزمخشري: **الكشاف عن حقائق وغوامض التنزيل**، ج4، ص161.

أما الشيخ السعدي- رحمه الله- (ت: 1270هـ) فقد فسر الآية:" ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾ الذي أنتم عليه ﴿أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ وهذا من أعجب ما يكون، أن يكون شر الخلق ينصح الناس عن اتباع خير الخلق هذا من التمويه والترويج الذي لا يدخل إلا عقل من قال الله فيهم: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾"[1]

ليس كل من نصح أراد الخير للمنصوح، فقد تكون النصيحة تحمل في طياتها مآرب أخرى، كصد المنصوح عن الاستماع الى الحق واتباعه، أو حقد دفين يخفيه الناصح ويظهر بمظهر الناصح الحريص على مصلحة غيره، أو لنيل حظوة دنيوية يسعى إليها من خلال تضليل الناس وتزييف الحقائق. وهذا ما فعله فرعون مع قومه صدهم عن اتباع موسى- عليه السلام- من خلال الظهور بمظهر الحريص على مصلحة شعبه، فاستخف بعقول ملئه فأطاعوه، وهو في الحقيقة حاقد على موسى- عليه السلام- وخائف على ملكه وهيبته من الضياع. قال البيضاوي – رحمه الله-: "إنّي أخاف إن لم أقتله. أن يبدل دينكم أن يغير ما أنتم عليه من عبادته وعبادة الأصنام"[2]

المطلب الثالث: الزيغ

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (الصف: 5).

---

[1] السعدي: **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ج2، ص 736.

[2] البيضاوي: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 1418 هـ)، ج5، ص55.

قال: ابن كثير –رحمه الله–: "وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا زاغُوا أَزاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ أي فلما عدلوا عن اتباع الحق مع علمهم به أزاغ الله قلوبهم عن الهدى وأسكنها الشك والحيرة والخذلان"[1].

وقال ابن جزي– رحمه الله–: " ﴿فَلَمَّا زاغُوا أَزاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ هذه عقوبة على الذنب بذنب، وزيغ القلب هو ميله عن الحق" [2].

وقال الإمام ابن عطية – رحمه الله– (ت:481هـ): "﴿أَزاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ معناه: طبع عليها وختم وكثر ميلها عن الحق، وهذه العقوبة على الذنب بالذنب"[3].

من خلال أقوال المفسرين في تفسير الآية يتبين لنا أسباب الزيغ ولماذا يُعد من موانع الهداية؟ ومن أسبابه الآتي:

- رفض الحق مع العلم به.
- الذنوب من أسباب الزيغ عن الحق.

ويُعد الزيغ من موانع الهداية لأنه عقوبة من الله تُطبع على قلب من زاغ عن اتباع الهدى.

---

(1) ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**، ج8، ص136.

(2) ابن جزي: **التسهيل لعلوم التنزيل**، ج2، ص 371

(3) ابن عطية: **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ج5، ص302.

المطلب الرابع: الجحود:

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ (13) وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (14)﴾ (النمل:14-13).

قال ابن عاشور – رحمه الله- (ت:1393هـ) : "والجحود: الإنكار باللسان ﴿واسْتَيْقَنَتْها﴾ بمعنى: أيقنت به، والسين والتاء للمبالغة. والظلم في تكذيبهم الرسول لأنهم ألصقوا به ما ليس بحق فظلموه حقه".[1]

وهنا مانعاً أخر من موانع الهداية في قصة موسى- عليه السلام- وفرعون وقومه، وهو الجحود بالآيات الواضحة البينة ظلموا أنفسهم وهم يعلمون علم القين أن موسى – عليه السلام- صادق فيما بلغ عن ربه. ولهذا السبب يُعد الجحود من موانع الهداية.

---

[1] ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، ج19، ص232،233.

المبحث الثاني: الموانع الخارجية في البيئة المجتمعية:

قد تصد الإنسان عن الهداية وقبول الحق موانع خارجية ذات صلة بالبيئة المجتمعية بالإضافة إلى موانع داخلية في النفس البشرية، وبعدما تحدثنا في المبحث الأول عن الموانع الداخلية وأثرها في مقصد الهداية سأتحدث في هذا المبحث عن الموانع الخارجية في البيئة المجتمعية في المطالب الآتية وهي:

المطلب الأول: التقليد الأعمى:

قال تعالى ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ﴾ (يونس: 78) قال رشيد رضا: "أي وما نحن بمتبعين لكما اتباع إيمان وإذعان فيما يخرجنا من دين آبائنا الذي تلقده عامتنا ويسلبنا ملكنا الذي تتمتع بكبريائه خاصتنا"[1].

"وفي هذا ما يدل على أنهم انقطعوا عن الدليل وعجزوا عن إبراز الحجة، ولم يجدوا ما يجيبون به عما أورده عليهم، بل لجؤوا إلى ما يلجأ إليه أهل الجهل والبلادة، وهو الاحتجاج بما كان عليه آباؤهم من الكفر، وضموا إلى ذلك ما هو غرضهم وغاية مطلبهم وسبب مكابرتهم للحق وجحودهم للآيات البينة وهو الرياسة الدنيوية التي خافوا عليها وظنوا أنها ستذهب عنهم إن آمنوا. وكم بقي على الباطل وهو يعلم أنه باطل بهذه الذريعة من طوائف هذا العالم في سابق الدهر ولاحقه"[2].

---

[1] رشيد رضا: **تفسير المنار**، ج11، ص381.

[2] القنوجي: محمد صديق خان، **فتح البيان في مقاصد القرآن**، ج6، ص105.

التقليد الأعمى تصرف يلجأ إليه الجهلة في مواجهة أي فكرة أو تصور من شأنه أن ينسف معتقداتهم الباطلة، فيدافعون عن معتقداتهم بالاحتجاج بما كان عليه آباؤهم، وبذلك يرفضون دعوة رسلهم، وهذا ما فعله بنو إسرائيل مع نبيهم –موسى عليه السلام–.

ولو تأملنا دواعي هذا التقليد الأعمى لوجدنا الآتي:

- التقديس المطلق لموروثاتهم الدينية.
- تزيينهم لأنفسهم التمسك بالباطل.
- عدم الرغبة في التجديد والخروج عن المألوف السائد عندهم.
- الرضى بالواقع وعدم قبول ما يغيره.

وبهذا يكون التقليد الأعمى من أقوى الموانع التي تمنع الناس عن اتباع هدى الله وقد تحدث القرآن عن التقليد الأعمى في قصة –موسى عليه السلام– في عدة آيات كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾ (القصص:36) قال الزمخشري– رحمه الله– (ت: 538هـ): وهذا دليل على أنهم حجوا وبهتوا، وما وجدوا ما يدفعون به ما جاءهم من الآيات إلا قولهم هذا سحر وبدعة لم يسمعوا بمثلها [1]

---

[1] الزمخشري: **الكشاف عن حقائق وغوامض التنزيل**، ج3، ص411. بتصرف

المطلب الثاني: القهر والتعذيب:

قال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ (الأعراف:127)

قال محمد رشيد رضا – رحمه الله–: "فتعبيره بالتقتيل يدل على التكثير والتدرج ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ وإنا مستعلون عليهم بالغلبة والسلطان" [1].

القهر والتعذيب أسلوب استبدادي يستخدمه المستبد إما لصرف الناس عما ما يعتقدون مما يخالف ما يدين به، وإما لإجبار الناس على تنفيذ أوامر السلطان أو صاحب السلطة في البلد، وقد تكلم القرآن عن هذه الظاهرة (القهر والتعذيب) في حديثه عن قصة موسى – عليه السلام– وما فعله فرعون بالذين آمنوا بموسى – عليه السلام– سواء كانوا من قوم فرعون أو بنو إسرائيل.

وتسلط فرعون هذا ناتج عن أمرين:

- تزين بطانته الفاسدة له باستخدام القوة ضد موسى– عليه السلام– ومن آمن معه.
- تعظيمه لنفسه، حتى صار ينازع الله في ألوهيته، واعتقاده بأنه لا إله عظيماً غيره.

---

[1] رشيد رضا: **تفسير المنار**، ج9، ص70.

وقال الشيخ أبو زهرة – رحمه الله– (ت: 9741م): في تفسير الآية "قال سنقتل الأبناء ونترك النساء، وسمي تركه النساء استحياء لهن، وهو لا يحيي ولا يميت، تركهن ليكُنَّ جواري وخدما في البيوت، وأكد قدرته على ذلك وإذلاله لهم بقوله: وإنا فوقهم، المسيطرون عليهم، الذين نستطيع استئصال من نحب، وإبقاء من نحب أذلاء مقهورين"[1].القهر والتعذيب من موانع الهداية وقد نرى الكثير من الناس يخشون فتنة القهر والتعذيب، إن أمنوا بدين غير دين آبائهم السابقين، فيمتنعون عن الإيمان بالله والهداية إليه –سبحانه– حتى لا يعرضوا أنفسهم للعذاب والقهر والإذلال.

---

[1] أبو زهرة: محمد أحمد مصطفى، **زهرة التفاسير**، ج6، ص2930.

الخاتمة:

وفي ختام هذا البحث توصلت إلى النتائج الآتية:

1. القصة في القرآن الكريم لها أسلوب مميز وإن تكررت في كثير من السور فمقاصدها متجددة ومتنوعة، بعكس القصص الأخرى.

2. القصة في القرآن الكريم لا يمكن التأليف فيها بزيادة أو نقصان لأنها محفوظة في القلوب والأذهان.

3. معجزات موسى- عليه السلام جميعها معجزات حسية، والسبب في ذلك -والله أعلم-: أن -موسى عليه السلام- وفرعون وآله، قاسية قلوبهم لا يؤمنون بالمعجزات المعنوية.

4. معجزات موسى- عليه السلام- كثيرة ومتنوعة بعضها جاء للتحدي، كمعجزتي: (العصا، واليد) وبعضها الأخر، جاء كهيئة عذاب، وبلاء على المكذبين به، كالمعجزات التسع.

5. هناك فرق بين الحوار والمناظرة في قصة موسى - عليه السلام- فالحوار قد يكون حول فكرة واحدة كدعوة موسى قومه وفرعون وملئه للإيمان، أما المناظرة تقوم على وجود أفكار متعارضة لكل من المتناظرين أدلته وحجته التي تؤيد فكرته.

6. الغاية من مناظرات موسى- عليه السلام- إثبات الحق بالأدلة القطعية وإرشاد خصومه إلى قبوله، فلم يكن يسعى لملك أو جاه، وإنما يسعى لهداية من أُرسل إليهم.

7. التكرار في قصة موسى- عليه السلام- له دلالات مختلفة بحسب سياق الآيات وموضوعات السور التي جاء فيها.

8. الوعي بالسنن الإلهية له أثر في تحقيق مقصد الهداية في قصة موسى- عليه السلام-.

9. موانع الهداية في قصة موسى- عليه السلام- متعددة منها: موانع لها علاقة بالنفس، وموانع أخرى لها علاقة بالبيئة المجتمعية، وفرعون كان يعاني من جميع الموانع.

التوصيات:

أريد أن أوصي ببعض التوصيات، وهي:

1. دراسة المقاصد الأخرى في قصة موسى – عليه السلام-.
2. تدريس مقرر مقاصد قصص القرآن، خصوصاً لطلبة كلية التربية، لما في ذلك من أساليب تربوية قيمة.
3. العناية بمقاصد القصص القرآني، وإقامة المسابقات الدولية للأبحاث العلمية حولها.
4. رد الشبهات المثارة حول القصص القرآني من خلال فهم مقاصدها.
5. التركيز على تعليم الطلبة في المدارس مقاصد القصص القرآني في حصص المطالعة والقراءة.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

الألوسي: شهاب الدين محمود بن عدالله الحسيني، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، تحقيق: علي عبدالباري عطية، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ)

الأصفهاني: الراغب أبو القاسم الحسين بن محمد، **مفردات ألفاظ القرآن**، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، (دار القلم: دمشق، ط١، 1412هـ)

البخاري: **صحيح البخاري**، "كتاب أحاديث الأنبياء، باب وفاة موسى، وذكرهُ بعدُ"، (دمشق: دار ابن كثير، ط1، 1423هـ/2002م)

البغوي: أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء الشافعي، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، ت: عبد الرزاق المهدي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 1420هـ)

البيضاوي: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 1418 هـ)

الخالدي: صلاح، **القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث**، (دمشق: دار القلم، ط1، 1419هـ/1998م)

الرازي: فخر الدين، **التفسير الكبير "مفاتح الغيب"**، (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر، ط1، 1401هـ/1981م)

الزحيلي: وهبه، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، (دمشق: دار الفكر المعاصر، ط2، 1418هـ)

الزمخشري: أبو القاسم محمود بن عمر، **تفسير الكشاف عن التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، تحقيق: خليل مأمون شيخا، (بيروت: دار المعرفة، ط3، 1430هـ/2009م)

السلمي: عبدالقادر بن فالح، بحث: " **موسى عليه السلام**".

السعدي: عبدالرحمن بن ناصر، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، تحقيق: سعد بن فواز الصميل، (الدمام: دار ابن الجوزي، ط1، 1422هـ)

الشنقيطي: محمد المختار، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، (بيروت: دار الفكر، د.ط، 1415هـ/1995م)

الشنقيطي: محمد الأمين، **العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير**، تحقيق: خالد عثمان السبت، (مكة المكرمة: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع ، ط2، 1426هـ)

الشوكاني: محمد علي، **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير**، تحقيق: يوسف الغوش، (بيروت: دار المعرفة، ط4، 1428هـ/2007م)

الطبري: **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، تحقيق: بشار عواد معروف وعصام فارس الحرستاني، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1415هـ/1994م)

القرطبي: أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، وأخرون، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1427هـ/2006م)

القنوجي: صديق حسن خان، **فتح البيان في مقاصد القرآن**، تحقيق: عبدالله إبراهيم الأنصاري، (بيروت: المكتبة العصرية، د.ط، 1412هـ/1992م)

ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، **البداية والنهاية**، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، (الجيزة: دار هجر للطباعة والنشر، ١٤١٧هـ /1997م، ط1)

الماوردي: أبو الحسن علي بن محمد البصري، **النكت والعيون**، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت)

المراغي: أحمد بن مصطفى، **تفسير المراغي**، (القاهرة- مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط1،1365هـ/1946م)

النجار: عبدالوهاب، **قصص الأنبياء-عليهم السلام-**، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط٣،د.ت)

النسفي: أبو البركات عبد الله بن أحمد حافظ الدين، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، تحقيق: يوسف علي بديوي (بيروت: دار الكلم الطيب، ط1,1419هـ/1998م)

الهوبي: جمال محمود محمد، " **معالم الصراع الإيماني في قصة موسى- عليه السلام-** "، رسالة ماجستير، (أم درمان: جامعة أم درمان،1407هـ/1987م)

خضر: قاسم توفيق قاسم، **شخصية فرعون في القرآن" رسالة ماجستير**، (نابلس: جامعة النجاح الوطنية، 1423هـ/2003م

درويش: محيي الدين أحمد مصطفى، **إعراب القرآن وبيانه**، (حمص، دار الإرشاد للشئون الجامعية، ط4، 1415 هـ)

رشيد رضا: محمد، **تفسير المنار**، (القاهرة: دار المنار، ط2، 1366هـ/1947م)

زيدان: عبدالكريم، **المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة**، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1،1319هـ/1998م)

سيد: قطب، **في ظلال القرآن**، (القاهرة: دار الشروق، ط32، 1423هـ/2003م).

عباس: فضل حسن، **قصص القرآن الكريم**، (عمان: دار النفائس، ط3، 1430هـ/2010م)

عبداوي: حفيظة، **أسلوب التكرار في القصة القرآنية قصة موسى – عليه السلام– نموذجاً**، رسالة ماجستير، كلية الآداب، (تلمسان: جامعة أبي بكر بلقايد 1421هـ/2000م)

نقره: التهامي، **سيكولوجية القصة في القرآن**، (تونس: الشركة التونسية للتوزيع، د.ط ،1971م)

ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، تحقيق: أبو الفداء عبدالله القاضي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1407هـ/1987م)

ابن جزي: أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله،، **التسهيل لعلوم التنزيل**، تحقيق: عبد الله الخالدي، (بيروت: دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط1، 1416هـ)

أبو زهرة: محمد، **زهرة التفاسير**، (القاهرة: دار الفكر، د. ط، د. ت)

أبو حيان الأندلسي: أثيرالدين، **البحر المحيط**، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 1423هـ/ 2002م)

ابن عاشور: الطاهر، **التحرير والتنوير**، (تونس: الدار التونسية للنشر، د.ط،1984م)

ابن عطية: أبو محمد عبد الحق الأندلسي، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: عبدالله إبراهيم الأنصاري، السيد عبدالعال السيد إبراهيم، (الدوحة: مؤسسة دار العلوم للطباعة، ط2، 1428هـ/2007م)

ابن كثير: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، (بيروت: دار الكتب العلمية: ط1،1419هـ/1998م)

ابن منظور: **لسان العرب**، (بيروت: دار صاد، د.ط، د.ت)

مراجع شبكة الانترنت:

الربيعة : محمد " **محاضرة: مقاصد سور القرآن – أنواع مقاصد القرآن– تعريف مقاصد القرآن– أهمية مقاصد القرآن**" برعاية مركز تفسير للدراسات القرآنية– جامع الراجحي– بريدة –عام 1435هـ ، 2015/12/02م،

https://www.youtube.com/watch?v=5ASt1KGo-zg&app=desktop،

العطوي: عويض " **لطائف بيانية في قصة قرآنية 15**" 2018/6/2،

https://www.youtube.com/watch?v=7gZEfaM_vF4

السامرائي: فاضل" **لمسات بيانية**" الفرق بين أتى وجاء، 2012/06/07

https://www.youtube.com/watch?v=2G9pZJCA1Fo

الشعراوي: "**تفسير سورة طه الآية " قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ**", في 2016/03/25،

https://www.youtube.com/watch?v=a8p1VAsfkHk

النشيمي: نبيل عبدالمجيد" **الهداية في القرآن من خلال سورة البقرة**" شبكة الألوكة الشرعية،م05/01/2012 هـ 10/02/1433،

http://www.alukah.net/sharia/0/37308/#ixzz5LpGuyVCY